قضايا الوطن وهمومه

عند

الشاعر الإيرانى أبى القاسم حالت
والشاعر المصرى صلاح جاهين

تأليــــف

د. ثــريــا محمــد علــى السيــد

أستــــاذ اللغــــة الفارسيــــة وأدبهــــا المساعــــد

كليـة الألسـن - جامعـة عيـن شمـس

مطبعة الاخوة الأشقاء

القاهرة -٢٠٠١ .

قضايا الوطن وهمومه

عند الشاعر الإيرانى أبى القاسم حالت

والشاعر المصرى صلاح جاهين

أولاً : مقدمة فى وظيفة الأدب ودورة الاجتماعى :

هل يقف المتلقى للأعمال الأدبية الشعرية والنثرية عند حدود الاستمتاع بالعمل الأدبى ؟

برغم أن أهم عناصر الإبداع الأدبى تكمن فى إثارة علامات الاستفهام أو إيجاد العديد من الإجابات للأسئلة المثارة عند المتلقى . إن العلاقة بين المبدع و المتلقى تثير سؤالاً هاماً حول وظيفة الأدب ودورة الاجتماعى .

إذا أخذنا جانب المتلقى للأدب أو القارئ فإن أول ما يبادرنا به عن وظيفة الأدب يُقصر مهمته على إشاعة المتعة فى لحظات يستروح فيها الناس بعد أعمالهم الجادة جرياً وراء الترفيه . وبرغم اعترافنا بالمتعة التى يضيفها الأدب شعره ونثره على المتلقى إلا أننا لا نستطيع أن نجعل المتعة الأدبية وظيفة للأدب ؛ فإن هذا القصر فيه دعوه إلى أدب زائف يتجمل بمثيرات مؤقتة سرعان ما يملها الإنسان بحثاً عن متع أدبية جديدة ؛ فيفقد الأدب بذلك عنصر الإبداع الذى يثير الفكر والمعرفة

وإذا أخذنا جانب المبدع - كاتباً أو شاعراً - فإنه يجعل من وظيفة الأدب الأولى المعرفة أو كما يقول رينيه ويلك (١) (وظيفة الشاعر الفعلية هى أن يجعلنا

ندرك ما نرى ، ونتخيل ما سبق أن عرفناه ، سواء بشكل تصورى أو عملى ، وعملية الإدراك والتخيل تقود إلى المعرفة) . فإن إدراك المتلقى للموضوع أو القضية التى يطرحها العمل الأدبى تثير فيه الرغبة إلى المعرفة ؛ وتثير له العديد من الأسئلة التى يصل من إجاباتها إلى المعرفة .

وإذا انصرفنا عن جانب المتلقى وجانب المبدع واتجهنا إلى الناقد بحثاً عن وظيفة الأدب وجدناه يطرح جانب المنفعة وظيفةً للأدب على أساس أن الأدب فيه تعويض لانعدام التوازن بين واقع المتلقى الذى يعيش فيه وبين الواقع الأدبى ؛ وإنه كلما ازداد الواقع اقتراباً من التوازن المطلوب تناقصت الحاجة إلى الفن والأدب (٢) ؛ وهذا الرأى يقصر دور الكاتب والأديب على الهروب من الواقع برغم أن لدى الإنسان وسائل متعدده للهروب من الواقع مثل الرهبانية والجنون والموت كما يرى الفيلسوف جان بول سارتر (٣) ، علاوة على أن أهداف المؤلفين المختلفة تنبع من حرية اختيارهم وأهدافهم فى الحياة والمجتمع .

إن محاولة البحث فى وظيفة الأدب قد وضعتنا بين أضلاع ثلاثة للمثلث الأدبى ؛ المبدع والمتلقى والناقد ؛ ولأن الأدب نتاج لغة محددة لمجتمع محدد فإن المبدع - سواء كان أديباً أو شاعراً - لا يستطيع أن يعيش فى برج خاص خارج حدود الزمان والمكان لمجتمعه لذلك نضيف للمثلث الأدبى السابق ضلع رابع هام جداً يحدد وظيفة الأدب ويُشكل وجدان المبدع والمتلقى والناقد وأعنى به المجتمع ، كما أنه لا يُقصر وظيفة الأدب على المتعة والمنفعة ، لكنه يضيف إلى دور المعرفة وعياً وإدراكاً شاملاً .

إن حركة المجتمع المتجددة وتطوره وجماعاته المختلفة المتصارعة التى تدفعه للتقدم والرقى أو إلى التقيد بالتخلف والجمود ؛ وأيضاً صراع المتناقضات هى التى ترسم للمبدع وجدانه خاصة أن الأديب أو الشاعر هما أكثر الناس حساسية لتغيّرات المجتمع وسلبياته وإيجابياته ، كما أن أهم أدوار الأديب أو الشاعر فى المجتمع هى رصد التغيرات أو المتناقضات واكتشافها ، والشاعر (... يشعر أنه جزء من القوى المتصارعة فى مجتمعه ، وأن الصراع الاجتماعى قد انتقل إلى داخلة ، وأنه يعانى كما يعانى غيرة الصراع بين ما ورثه المجتمع وما أورثه لأفراده ؛ وبين إرادته وإرادة القوى التقدمية فى مجتمعه لتجاوز هذه المعوقات والتغلب عليها ليولّد من تناقضات العالم القديم عالم جديد أكثر عدالة ورفاهية) (٤) ويتحدث الباحث الإيرانى إسماعيل نورى علاء عن دور الشعر الاجتماعى فيقول ما ترجمته : (... علينا أن نتنبه عند حديثنا عن الوظيفة الاجتماعية للشعر فى الوقت الراهن وعند تحديد أنواعه ومنها [السياسى] ، فإن علينا حقيقة أن نضع كلمة [اجتماعى] بدلاً من كلمة [سياسى] لأنها أكثر شمولاً واتساعاً فى أذهان القراء فى حين أن الكلمة الأخيرة محدودة جداً ، مع إدراكنا بأن بعض الأمور الاجتماعية لا يجب أن تكون سياسية) (٥)

ويتولد من الحديث عن وظيفة الأدب سؤال عن دور الأديب أو الشاعر فى الحياة ورسالته نحو مجتمعه ، هل ينحصر هذا الدور فى التعبير عن اهتماماته الخاصة أو معاناته وأفراحه المحصورة داخل ذاته ؟ أم أن الأديب الشاعر الواعى لتجربته يقارنها بتجارب الآخرين فى مجتمعه ويفسح لها المجال لتشمل نظرته المجتمع بكامله فيعيش اهتمامات عصره وقضايا مجتمعه ؟

إن اهتمام الأديب والشاعر الصادق والحقيقى بقضايا عصرة ومجتمعه تمهد الطريق لاستجابة صادقة وصحيحة تشارك فى رسم الطريق نحو حياة إنسانية أفضل ونحو نمو مجتمع أفضل هو ما يطمح إليه الأديب أو الشاعر . إن الـــدور الحقيقـــى للأديب ليس التمحور حول ذاته منفصلاً عن بيئته الخاصة أو مجتمعه ، أو بكلمـــة أخرى ليس اتخاذ موقف سلبى من مجتمعه بل إن دورة الحقيقى هو اتخاذ موقـــف إيجابى من مجتمعه ورصد مشكلاته وتمهيد الطريق نحو علاجها ونحو إيجاد الحلـول ؛ حلول لا تأتى عن طريق الارتجالى أو العفوية ولا تأتى أيضاً عـــن طريـــق القـــهر والفرض ، بل تنبع من تلاحم الوجدان الجمعى والشعور الجمعى بالمشكلة وحلها ، ودور الأديب أو الشاعر هنا يأتى من كونه المرآة المقعرة والحساسة لهذا الشـــعب والتى تعكس مشاكله وقضاياه وحلوله

إن ما نطرحه عن وظيفة الأدب ودور الأديب يشمل الأدب بفرعية الشعر والنثر ؛ ويخالف ما يذهب إليه الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر من قصـــر دور الأدب الإيجابى - أو الأدب الملتزم كما يطلق عليه - على فرع النثر فقط ؛ وينـــأى بالشعر عن هذا الدور ؛ يقول: (عمل (الكاتب) هو فى الإعراب عن المعـــانى ... وإن ميدان المعانى إنما هو النثر ، فالشعر يعد من باب الرسم والنحت والموســـيقى . . . . . . فالشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعيـــة . وحيـــث أن البحث عن الحقيقة لا يتم إلا بوساطة اللغة واستخدامها أداة ،فليس لنـــا إذن ؛ أن نتصور أن هدف الشعراء هو فى استطلاع الحقائق أو عرضها) (٦)

لقد أقام سارتر رأيه بناء على وجود شعراء سلبيين لا يتصلون بمجتمعـهم ؛ ويقيمون فى أبراج عاجية ، أما لغتهم فهى لغة خاصة رفيعة تتصل بطبقات ثقافية

رفيعة . وسارتر بذلك يقّصر الشعر على الشعر الرفيع أو الخاص شعر الطبقة المثقفة الذى يهيم فى أودية الخيال ؛ متناسياً بذلك وجود أدب شعبى وشعر شعبى أو أدب العامة ؛ أدب اللغة الوسطى بين المثقفين وغير المثقفين وهو ما اصطلحنـــا علـــى تسميته بأدب العامية وشعر العامية .

لقد اعتمد سارتر فى رأيه على مدى نفعية اللغة ، فهل لا يقوم شعر العامية بهذا الدور النفعى ؟ وهل ينكر سارتر بذلك أدب العامية وشعر العامية ويجعل نفعية اللغة قاصرة على الفصحى التى بدورها تعلو على فهم العامة وتقتصر على الخاصــة من المثقفين ؟

إن ظاهرة الثنائية اللغوية أو الفصحى والعامية ظاهرة طبيعية قديمـــة قـــدم الحياة ، فلقد ظلت اللهجات المحلية فى أية لغة تعيش إلى جوار الفصحى العاليـــة أو الرفيعة ، وظلت اللهجات المحلية لغة تعامل شعبى وتفاهم محلى تقوم بدور نفعـــى للحياة والمجتمعات على طول التاريخ وهى مع هذا لا تقضى على الفصحى أو تحل محلها .

لقد كانت اللهجة المحلية أو الدارجة أو العامية هى القارب الذى أبحر بـــه أديب العامية فى مجتمعه فتفاهم وتعامل مع بيئته الخاصة وعبر عنها وعن مشــاكلها وقضاياها والحلول التى يطرحها العامة لهذه المشاكل ، فإن كان الأدب الشـعبى أو التراث الأدبى الشعرى نجهل كاتبه فى الغالب فإن أدب العامية نعرف كاتبه ومبدعه وشاعره ، من هنا وجب الاهتمام به والنظر إلى قضاياه التى يطرحها أدباء العاميـــة وشعرائها ، ، لقد عبر هؤلاء الأدباء والشعراء عن مجتمعاهم أو وطنهم وقضايـــاه ومشاكله . إن بيئة الشاعرّ العامة هى الوطن وبيئته الخاصة هى الأسرة ؛ والأســـرة

لبنة من لبنات المجتمع لذا ينعكس منها وفيها المجتمع العام أو الوطن فيجد الشاعر نفسه وقد التحم فى مشاكله الخاصة مع مشاكل الوطن وقضاياه . أليس فى كوارث الطبيعة مثل الزلازل مصيبة للوطن وضحايا من أسر هذا الوطن ؟ ألا ينعكس فقر الوطن وتخلفه على أسر هذا الوطن كما تنعكس حضارته ورفاهيته أيضا ؟ألا تعيش أسر الوطن الواحد سلبيات الانتخابات وإيجابياتها ؛ واختلاف أنواع المرشحين بين صادق ثورى وطامع منافق وصولى؟ أليس فى الوطن أمراض اجتماعيه وأخرى سياسية تؤثر على أفراد الوطن أو المجتمع فى المدرسة والسوق والشارع ؟ وما الأديب أو الشاعر إلا ابن من أبناء الوطن يتفاعل معه ويهتم همومه فينعكس هذا الاهتمام فى شعرة فيطرح هموم الوطن فى شعرة ويتجاوب معه ومع قضاياه ، إن الشاعر (حين يكبر فى أحضان البيئة العامة التى هى الوطن نراه قد انتزع من أحضان البيئة الخاصة التى هى الأسرة ؛ وإذا تفكيره لبيئته الخاصة يكون جزءا من تفكيره لبيئته العامة)(٧) فحين يشب الشاعر على أرض الوطن ويقر فى وجدانه وطنه الصغير أو الأسرة يقر معه وطنه الكبير أو كما يقول الابيارى عن الوطن (... أرضك التى درجت على ظهرها وتنسمت هوائها وطعمت غذاءها وشربت ماءها ، كانت منها أجزاؤك التى أبتنى منها جسمك وخواطرك التى انعقد عليها فكرك ، ونوازعك التى استوى منها أملك وعواطفك التى جمعت فيك حميتك ، وأحاسيسك التى كونت لك عملك فأنت من هذه الأرض بجسمك وفكرك وأملك وحميتك وعقلك،بلسانها نطقت ، و بهديها سعيت وبعشيرتها احتميت) (٨) .

إن اهتمام شعراء العامية بهموم الوطن ومشاكله وقضاياه وطـرح هـذه الهموم فى أشعارهم - كما سنرى بعد قليل - لهو أصدق نموذج لدحض نظرية سارتر عن الشعر ، كما أنه فى لغتهم العامية إجابة تشير إلى أهمية مخاطبة المجتمع بلهجته للوصول إلى وجدانه والتعبير عن قضاياه ومشاكله ، وفى القضايا والمشاكل التى تناولها شعرهم إجابة لم يفطن إليها سارتر حين نأى بالشعر عن التعبير عن القضايا والمشاكل القومية وقصرها على النثر .

حواشي : المقدمة :

(١) رينيه ويلك ، نظرية الأدب ، ص ٣٧، ٤٦ . أحمد السعدنى ، نظرية الأدب ، ج٢ ، ص٢٠٩

(٢) أحمد السعدنى ، نظرية الأدب ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(٣) جان بول سارتر ، ما الأدب ، ترجمة د . محمد غنيم هلال ، القاهرة ، ص٤٤

(٤) عبد المحسن طه بدر ، حول الأديب والواقع ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨١م ص ٩ ، ١٧ .

(٥) إسماعيل نورى علاء ، صور وأسباب در شعر امروز إيران ، تهران ، ١٣٤٨ش ، چاپ أول ص ٩٢ . النص الفارسي (بايد توجه داشت كه تا بحال وقتى از وظيفه ى اجتماعى شعر سخن ميرفته منظور نظر أنواع شعر (سياسى) بوده است . در حقيقت آنچنان كلمه ى (اجتماعى) بجاى (سياسى) بكار رفته است كه شمول وسيع آن اكنون در اذهان خوانندگان فقط بهمين كلمه ى اخير محدود گشته است.حال آنكه ميدانيم يك أمر اجتماعى لزم نيست سياسى هم باشد)

(٦) جان بول سارتر ، ما الأدب ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٧) إبراهيم الأبيارى ، الوطن فى الأدب العربى ، سلسلة المكتبة الثقافية رقم (٧٣) ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ٣

(٨) الأبيارى ، الوطن فى الأدب العربى ، ص٦ .

ثانيا : مكانة الشاعرين حالت وجاهين فى المجتمعين الإيرانى والمصرى :-

من المؤكد أن الشاعرين الإيرانى أبا القاسم حالت ، والمصرى صلاح جاهين لم يلتقيا ، فلم يسافر جاهين إلى إيران أو جاء حالت إلى مصر ؛ كما لم يلتقيا خارج بلديهما ؛ حيث لم يرد فى سيرتيهما ما يشير إلى احتمالية اللقاء بينهما . لذا فمن المحتمل أنهما لم يتأثرا كل بالآخر ، والاحتمال الأقوى أن كلا منهما لم يعرف بوجود الآخر فقد انشغلا بتأكيد شاعريتهما فى وطنيهما فى نفس الوقت والزمان . قد يكون حالت قد سبق جاهين فى المولد فظهرت شاعريته فى وطنه قبل ظهور شاعرية جاهين فى مصر ، وقد يكون عمر حالت قد طال أكثر من عمر جاهين ، وقد يكون حالت قد عرف اللغة العربية إلا أنه فى الغالب لم يتقن العامية المصرية حتى يقرأ شعر العامية المصرية فيعرف جاهين وشعره ، لذا فإننا لا نستطيع القول إن الشاعران قد تأثر أحدهما بالآخر .

أما المناخ الذى عاش فيه كل من الشاعرين على الصعيدين الاجتماعى والسياسى القومى والعالمى فقد يكون متشابها إلى حد بعيد ، فقد ولد الشاعران فى مرحلة ملكية استبدادية وعاصرا ثورة بلديهما وتحولها إلى جمهورية ، كما شهدا الاحتلال الإنجليزى لبلديهما وظهور الحركة الوطنية ومحاربة المستعمر الإنجليزى والتدخل الأجنبى فى شئون بلديهما . وعاصر كل منهما تجربة التأميم فى بلاده ، تأميم الدكتور مصدق للنفط فى إيران ، وتجربة تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس فى مصر وتأثير قرارات التأميم على مجتمعيهما ، وأحلام المجتمعين فى التغير الاجتماعى والتقدم والرفاهية . أما الحروب فقد عاصرا الحرب العالمية الثانية وعرفا تأثيرها على مجتمعيهما ، وكذلك تأثير الحروب التى خاضتها بلادهما ضد المعتدين

أو الطامعين ، وعاصرا ظهور الأيدلوجيات العالمية فى القرن العشرين مثل الماركسية والرأسمالية والقومية والرجعية ، وظهور تيارات سياسية مثل القوى العظمى أو المعسكر الشرقى أو المعسكر الغربى ، وقوى عدم الانحياز أو الحياد الإيجابى ، والهيمنة الغربية فكريا وثقافيا واقتصاديا وعاشا تصنيف بلديهما باعتبارهما من دول العالم الثالث . كذلك تشابهت ملامح شخصيتهما إلى حد بعيد فكلاهما ؛ حالت وجاهين ؛ قد عملا بصحافة بلاده ، وكتب الأغنيات التى تغنى بها أشهر المطربين فى بلديهما ، كما كتبا للسينما ، والأهم أن كليهما شاعر نزل إلى مجتمعه ومواطنيه وخاطبهم بلغتهم وحمل فى أشعاره هموم مجتمعه وعبر عن قضاياه ومشكلاته، من هنا كانت المقارنة هى السبيل نحو الكشف عن مدى التقارب أو التباعد بين فكر الشاعرين وأيضا بين مجتمعيهما ومشكلات وقضايا كل مجتمع منهما.

ولنستعرض أولا سيرة كل منهما حتى نستوضح التشابه فى البيئة العامة والبيئة الخاصة للشاعرين :

– أبو القاسم حالت

ولد الشاعر أبو القاسم حالت فى طهران عام ١٢٩٣ش = ١٩١٤م والده هو محمد تقى ، اهتم بتعليمه فى مدارس طهران ، وظهرت شاعريته منذ صباه وطفولته ، تخلص طوال حياته الشعرية بعدد من الأسماء التى كان يتخفى ورائها منها : (ابو العينك =ابو نظاره) ومنها (هدهد) و(خروس لارى). خاض مجال الشعر وهو فى الحادية والعشرين من عمره بقصيدة قدمها للرابطة الأدبية فى إيران عام ١٣١٤ش = ١٩٣٥م وكانت قصيدة فصحى فى غرض أخلاقى صوفى ، وقد

نظمها متأثرا بأسلوب الشاعر سنائى الغزنوى ، ولروعتها أعجب بها محمد هاشم ميرزا أفسر رئيس الرابطة الأدبية (انجمن أدبى إيران) فمنحة جائزة على قصيدته .

ازداد ارتباطه بالأوساط الشعرية كما ازدادت شهرته خاصة منذ عام ١٣١٧ش = ١٩٣٨م ؛ حينما ارتبط بالصحيفة اليومية الفكاهية (توفيق) وكان يرأسها حسين توفيق ، وطال ارتباطه بهذه الصحيفة لمدة اثنتين وعشرين عاما، إلا أنه كان ينشر شعره تحت أسماء مستعارة تخوفا من استبداد النظام الحاكم (البهلوى) ، من هذه الأسماء (هدهد ميرزا) ؛ و(خروس لارى) ؛ و(شوخ) ؛ و(فاضل مآب) ؛ و(أبو العينك) ، وقد ذكر أبو القاسم ذلك بنفسه فى مقدمته لديوانه (أبو العينك = أبو نظارة) . ومنذ عام ١٣٢٠ش = ١٩٤١م لم يقتصر النشر لأشعاره على جريدة توفيق اليومية بل تعددت قصائده وأشعاره فى عدد من المجلات الأسبوعية منها مجلة (أميد = الأمل) ومجلة (تهران مصور = طهران المصورة) ، ومجلة (قيام إيران = نهضة إيران) ، ومجلة (خبردار = الصحفى) ، كما نشر بهذه المجلات مقالاته الفكاهية أيضا بالإضافة إلى أشعاره . (١)

تعهد منذ عام ١٣٢٣ش = ١٩٤٤م بنظم خمس رباعيات أسبوعيا تتضمن كلمات الإمام على ابن أبى طالب ، وكان نشرها فى المجلة الأسبوعية (آيين إسلام = دين الإسلام) ، كما كان ينظم بها القصائد الأخلاقية والعرفانية .

ذاعت شهرة أبى القاسم حالت فى مجال الأغانى والأناشيد خاصة ذات الصبغة الفكاهية والنقدية ، وقد قدم هذه الأغانى عدد من فنانى إيران على مسارحها ومنهم مجيد حسنى ، وحميد قنبرى ، وجمشيد شيبانى ، وكذلك عزت الله انتظامى ، كما نظم أغانى عاطفية ووصفيه غنتها ملكه حكمت شعار ؛ ونظم لأخيها

عباس حكمت شعار أغانى فكاهية . وقد جمع أثاره الفكاهية فى مجلد بين عام ١٣٢٥ش = ١٩٤٦م ونشرهما تحت عنوان (فكاهيات حالت) وقدم لهما بهذا البيت :

به شعر أكثر گويندگان نيابى حال

رهى ترانهٔ حالت كه حالتى دارد

وترجمته :

– لا تجد فى شعر أكثر الشعراء حالة ، فاتبع طريقة حالت فى الغناء تجد هذه الحالة . (٢)

لقد ابتكر أبو القاسم حالت أسلوبا فى الشعر الغنائى النقدى اشتهر فى إيران وترسخت فيه أقدامه مما جعل ملك الشعراء بهار يدعوه للإشتراك فى مؤتمر كتاب إيران الذى كان يرأسه ، وفى هذا المؤتمر ألقى قصيدة (ستمگر وستمكش = الظالم والمظلوم) وكذلك مثنوى (توپ فوتبال = مدفع كرة القدم) على الحاضرين فحاز على إعجابهم الشديد .

وفى نهاية عام ١٣٢٥ش = ١٩٤٧م عمل أبو القاسم حالت فى دبلجة بعض الأفلام الفارسية وذلك بدعوة من شركة افرجرين السينمائية (اورگرين پيكچر) ، فسافر إلى الهند برفقة اثنين من الممثلين الإيرانيين وظل بالهند أكثر من عام ونصف العام يعمل فى بومباى ، وأثناء ذلك درس اللغة الإنجليزية وأتقنها . وبعد عودته إلى إيران فى عام ١٣٢٧ش = ١٩٤٩م ؛ التحق بالعمل فى إدارة النشر بشركة البترول وأشرف على إخراج ثلاث

نشرات للشركة خاصة الأبواب الأدبية والفكاهية منها ، وحينمـــا أممـــت صناعة البترول فى إيران وتوقف صدور نشرات الشركة اتجه أبــو القاســم حالت إلى تعلم اللغة الفرنسية لمدة ثلاث سنوات وهى المدة التى توقفـــت خلالها دوريات الشركة ، ولقد أتقن الفرنسية حتى أنه قام بترجمة كتـــاب هنرى بردو (شبح در كوچة ميكلانز = شبح فى زقاق ميكلانج) ونشـــر هذه الترجمة فى مجلة طهران المصورة .

ثم انتقل حالت إلى طهران للإقامة والعمل وذلك عـام ١٣٢٧ش = ١٩٤٩م ، حيث عمل فى إدارة العلاقات العامة (إدارة روابط عمومـــى) لشركة البترول ؛ ورأس تحرير مجلة صناعة البترول (صنعـــت نفـــت) ، وواصل فى الوقت نفسه نشر أشعاره وكتاباته فى مجلات وجرائـــد إيـــران المختلفة . وقد ظل يعمل بشركة البترول حتى أحيـــل إلى المعـــاش عـــام ١٣٥٣ش = ١٩٧٤م .(٣)

كان زواج أبي القاسم حالت فى عام ١٣٢٩ش = ١٩٥٢م مـــن زوجة بقيت معه حتى وفاته ؛ وأثمر هذا الزواج ولدين هما (مـــاهور) و (مانى) ، وعاش أبو القاسم حالت حتى شهد عودة الإمام الخميني إلى إيـــران وقيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩م ، فنظم كلمات السلام الجمـــهورى للثورة ، وقد كرّمته الثورة الإسلامية فى شهر آبان ١٣٧٠ش = ١٩٩٢م فى حفل أقيم بقاعة احتفالات البنك الأهلى (تالار باشگاه بـــانك ملـــى) ، اجتمع فيه العلماء والكتاب والشعراء .

وبعد حياه حافلة بالعطاء الشعرى المتميز وافته المنية فى الرابع من شهر آبان عام ١٣٧١ش= ١٩٩٣م ؛ وشيع جثمانه فى جنازة مهيبة وتكريم بالغ .

أما عن مكانته الشعرية ودورة كأديب فى المجتمع الإيرانى فالحديث عنه يطول فهو حالة متفردة فى الشعر واسمه (حالت) ، وهو شاعر مغتم بهموم وطنه إيران ؛ امتطى السخرية من الهموم وامتشق القلم كى يحارب هموم الوطن .

أغراضه الشعرية أو رؤيته الشعرية تنتقل بالشعر الفارسى من جماليات الصورة المزخرفة المنسوجة من حرير المشاعر إلى صرخة الشعر أو قهقهته الساخرة من هموم الوطن ، وكما يُجمّل الغزل وجه المحبوب وجسده ؛ يُجمّل أبو القاسم حالت الهمّ كى نتحمله ، تمكن من ناصية الشعر والأدب وكانت له سليقة شعرية باهرة قربته فى أشعاره من رجل الشارع ومن المثقفين سواء بسواء ، امتاز بالابتكار فى أسلوبه الشعرى ، واعتبر أسلوبه هذا أسلوبا خاصا به فقد قدم شعرة بلغة وسطى بين الفصحى والعامية استعمل فيها مصطلحات العامة بلغة سهلة مبسطة ، تحدث عنه زين العابدين مؤتمن بما ترجمته : (... لحالت أسلوب خاص وطريقة ممتازة فى الشعر ، وإن من يعرفون أسلوبه الخاص ؛ يتعرفون عليه فورا فى أى مكان يرونه حتى وإن لم يشر إلى اسم ناظم هذا الشعر ، إنه الإحساس بالتفرد والابتكار سواء فى اختيار الموضوع أو فى ابتكار المضامين الجديدة أو فى

كيفية عرضها واستعمال الألفاظ والتركيبات اللفظية البديعة ، وقد ذكر حالت هذه الحقيقة وأشار إليها فى شعرة حينما قال :

- إن كان الأوربى يخترع فى الفكر كل يوم اختراعا ؛ فإن هذا العبد أيضا يبتكر فى كل أسبوع شعرا مبتكر النظم .

... فى أشعاره تلاعب بالألفاظ ، وقد استفاد من غريزته فى الإبداع والابتكار فى تأسيس أنواع شعرية فكاهية واجتماعية لم تكن فى الحقيقة موجودة من قبل حتى أقدم حالت على الإستفادة من الأساليب المحلية والشرقية ، وعلى الاستفادة أيضا من الموضوعات الاجتماعية والعامة التى تحدث فى كل يوم فى الحياة العادية ؛ والتى نستطيع أن نلمسها بأنفسنا ، وإن كانت هنالك مقدمات أو سوابق لهذا الأمر من أحد الأطراف فقد كانت بدائية جدا ومبتذلة ، كما كانت من ناحية أخرى - غالبا - من الأساليب الغريبة وغير المستساغة ... ... لقد أنشد حالت شعرة من أجل الشعب وبلغة الشعب ، وعن الهموم الاجتماعية والمشكلات العامة التى يستطيع أن يلمسها الشعب كله ، وشرحها بأساليب معروفة وفى وضوح جميل ؛ إن أشعاره نموذج لأفكار العصر ومعتقداته السياسية ؛ وكذلك نموذج لهموم الشعب وآماله .) (٤)

أجاد أبو القاسم حالت اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية إلى جانب لغته الأم الفارسية ؛ فكانت هذه اللغات معينا واسعا لا ينضب ينهل من ثقافاتها ، وساعده ذلك على العمل بالترجمة والبحث والتحقيق إلى

جانب إبداعه الشعرى فى مختلف الأنواع الشعرية من قصيدة أو مثنوية أو غزلية أو رباعية أو مسمط ... إلخ

ويكفى النظر إلى ما ترك من أثار منشورة سواء الإبداعية فى الشعر أو المترجمة فى فنون الأدب من قصة أو تاريخ أو علوم ؛ لإدراك مكانته الشعرية والأدبية فى إيران ، ومنها :

١- ديوان أشعاره .

٢- منظومة پرواز شبنم = فراشة الندى .

٣- كليات سعدى الشيرازى مع ترجمة لأشعاره العربية إلى الفارسية .

٤- تذكرهٔ شاهان شاعر = سجل الملوك الشعراء .

٥- گلزار خنده = روضة الضحك .

٦- فكاهيات حالت - فى مجلدين .

٧- ديوان خروس لارى (وهو أحد أسمائه المستعارة) .

٨- ديوان أبو العينك (أسم مستعار آخر له).

٩- ديوان شوخ = ديوان الجرئ .

١٠- بحر طويلهاى هدهد = بحور هدهد الطويلة ، (وهدهد أحد أسمائه المستعاره)

١١- عيالوار = أبو العيال

١٢- رقص كوسه = دق الأكعاب

١٣- مقالات طنز أميز = مقالات تهكمية .

١٤- فروغ بينش باسخنان حضرت محمد (ص) باترجمة فارسى وانگليسى ورباعيات فارسى = استشراف كلمات حضرة النبى محمد (ص) مع ترجمة فارسية وإنجليزية ورباعيات فارسية .

١٥- راه رستگارى باسخنان حسين بن على (ع) باترجمة فارسى وانگليسى ورباعيات فارسي = طريق الهداية من كلمات الحسين بن على مع ترجمة فارسية وإنجليزية ورباعيات فارسية .

١٦- كلمات قصار حضرت على (مختصر شكوفه هاى خرد) = كلمات حضرة على القصار ،

(مختصر براعم صغيرة) .

١٧- ترجمة تاريخ كامل ابن اثير = ترجمة كتاب تاريخ الكامل لابن الأثير

١٨- تاريخ فتوحات مغول ، نوشتهٔ ج . ج . ساندوز .= تاريخ الفتوحات المغولية للكاتب ج . ج . ساندوز .

١٩- تاريخ تجارت ، أثر اريكـــ.ن . سيمونز = تاريخ التجارة لمؤلفة اريكـــ.ن .سيمونز .

٢٠- نابلئون در تبعيد (خاطرات ژنرال برتراند) = نابليون فى المنفى (مذكرات الجنرال برتراند)

٢١- زندگی من (اثر مارک تون) = حياتي لمارك توين .

٢٢- پيشروان موشک سازی (تأليف بريل ويليامز وساموئيل اشتاين) = رواد صناعة الصواريخ (تأليف بريل ويليامز وصمويل اشتاين) .

٢٣- بهار زندگی (اثر كلاوس هاستی كارول) = ربيع الحياة (لمؤلفه كلاوس هستي كرول) .

٢٤- جادوگر شهر زمرد (نوشته ال .فرانک باوم)= ساحر مدينة الزمرد للكاتب ال .فرانك بوم

٢٥- بازگشت به شهر زمرد (نوشته ال .فرانک باوم) = العودة إلى مدينة الزمرد للكاتب ال .فرانك بوم .

٢٦- مينو توس مشاور نرون (نوشته ميكا والتاری) = مينوتوس مستشار نيرون (تأليف ميكا فيلتاری) .

٢٧- پسر ايرانی : سرگذشت واقعی داريوش سوم واسكندر (نوشته ماری رنولت) = الفتى الإيراني : سيرة واقعية لدارا الثالث والإسكندر (للكاتبة ماری رينولت) .

٢٨- فرعون (نوشته الويز جارويز مک گرد = الفرعون (للكاتب الفيس جاروس مكجرد) (٥)

– صلاح جاهين

ولد الشاعر صلاح جاهين فى القاهرة يوم ٢٥ ديسمبر عـــام ١٩٣٠م ، واسمه الكامل محمد صلاح الدين حلمى بهجت ، ولكنه اشتهر باسم صلاح جاهين .

عمل والده قاضيا ولذلك اقتضى عمله التنقل بين مدن مصر فتنقل معه ابنــه صلاح من أجل الدراسة وأفاده هذا التنقل فى التعرف على هموم النـــاس فى مجتمعات ريفية أو صناعية مختلفة . أحب صلاح جاهين الرســـم خاصـــة الكاريكاتير منذ صباه حتى أن رسوماته اعجب بها معلمه للرسم فى مدرســة أسيوط الإعدادية ، فحظى جاهين بتشجيع معلمه أولا ثم أبيه المحب للفنــون حتى ينمى موهبته فى الرسم

درس صلاح جاهين الحقوق وحصل على درجة الليسانس مـــن جامعــة القاهرة ، ثم بدأ حياته العملية كصحفى فى مجلة (روز اليوسف) رســـاما للكاريكاتير وذلك عام ١٩٥٢م ، وشارك فى إصدار مجلة (صباح الخـــير) عام ١٩٥٦م ، وانتقل للعمل بها .

أما فى عام ١٩٦٤م فقد انتقل للعمل فى جريدة الأهرام اليومية وظل مواظبا على إخراج رسمة كاريكاتوريا ساخرا يوميا ، وكان أحيانا يقرن رســومـاته الكاريكاتيرية ببعض الأبيات الشعرية ، وأثار برسوماته النقدية الساخرة كثير من القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية ؛ وابتكر معـــها شـــخصيات كاريكاتيرية كانت مشهورة ومعروفةفي المجتمع المصري حتى أعتــبر بحــق مؤسس المدرسة الكاركاتيرية المصرية الحديثة .

كان صلاح جاهين شخصية متعددة المواهب فإلى جانب نبوغـــه في فـــن الكاريكاتير كان شاعرا عظيما تفتق وجدانه الشعرى مع شعر الفصحـــــى والقالب العمودى أولا ثم مع إرهاصات ثورة يوليو ١٩٥٢ م وتحول مصر إلى النظام الجمهورى؛ أرتبط بشدة بالثورة والوطن وكان عمره لا يزيد على اثنين وعشرين عاما . تأثر بالشاعر الشعبى بيرم التونسى والشاعر فؤاد حداد وهما من رواد شعر العامية تأثرا شديدا حتى انه تحول من شعر الفصحـى الى شعر العامية ؛ وكثيرا ما عبر عن تأثره بهذين الشاعرين فى كتاباته . يقـــول عن ارتباطه بالثورة وبشعر العامية فى قصيدته (على الربابة) والتى ألقيت فى مهرجان أبى تمام بدمشق عام ١٩٦٠ م .

وأنا شعرى بيصور كفاح أمة العرب

علشان الجمال والحب والإنسان

باغنى وقلبى يدق ويدق فى نغم

كدق القدم فى الدبكة والميجان

وما كنت قادر ع الغنا قبل ثورتى

وما كان لى شبابة ولا لى لسان

* * * * *

ودورت على ألفاظ كما السير للمكن

تدور تروس وتقول دروس ببيان

لقيت عمنا ابن عروس وشعره ودارجته

وفى لهجته ألحان لكل زمان

جعلته دليلى ولهجة الشعب سكتى

وأنا فى القمر بانشد مع الكروان (٦)

* * * * *

بدأ فى نشر أشعاره العامية مع ما كان يرسمه من كاريكاتير فى مجلة روز اليوسف ونال شهرة فى الشعر العامى حينما نشر قصيدته (الشاى باللبن)فى أغسطس ١٩٥٢ م ؛ ونالت قصيدته تلك الاستحسان من القراء مما دفعه إلى نشر المزيد من شعر العامية ؛ ومع انتقاله إلى مجلة (صباح الخير) بدأ حملة كبيرة للترويج لشعر العامية ؛ وظهرت أثار تلك الحملة فى غيرها من الصحف وظهر معها عدد كبير من شعراء العامية المصرية مثل سيد حجاب وفؤاد بدوى وعبد الرحيم منصور . وإضافة إلى موهبة الرسم والشعر التى حظى بها جاهين ، خوضه بمجال الأغنية الوطنية والعاطفية والوصفية فقد تغنى بشعرة كثير من المطربين والمطربات فى مصر ومنهم أم كلثوم وشادية ونجاح سلام وسعاد حسنى وكان العديد من أغانى المطرب عبد الحليم حافظ الوطنية من نظم صلاح جاهين . أضف إلى هذا كتاباته المسرحية الشعرية لمسرح العرائس ، وله عدد من المسرحيات التى قدمت

على مسرح العرائس بالقاهرة .كتب جاهين الاستعراضات والسيناريوهات والحوار لأفلام عديدة فى السينما المصرية ؛ وقام أيضا بالتمثيل فى بعضها.

لقد عشق صلاح جاهين وطنه مصر خاصة وأن ثورتها واكبت تفتح مواهبه وبداية شبابه فعاش الحلم الكبير مع الثورة فى وطن أكثر قوة وأكثر حضارة ، وتبنى مخاطبة الشعب بلهجته العامية حتى يثير فيه روح مقاومة الفساد والجشع والنفوذ الأجنبى ؛ وكثيرا ما طالب فى رسوماته الكاريكاتيرية الناقدة ، وفى شعرة بتشييع التخلف والغش والرجعية إلى القبر ، وتغنى فى شعرة بمشاريع وطنه القومية مثل مشروع السد العالى ، والوحدة مع سوريا وبناء المصانع ، ونهضة الفلاحين والعمال ، والتعليم ؛ إلا أن أحلامه برؤية وطن نظيف من الفقر والجهل والحرمان والقهر تهاوت مع نكسة عام ١٩٦٧م ؛ وأصبح يمتلئ بالحزن والمرارة وأصابه الاكتئاب وتوقف عن إصدار الدواوين الشعرية وكان آخرها ديوان (قصاقيص ورق) الذى أصدره فى عام ١٩٦٥م ، وتوقف عن كتابة الشعر العامى الوطنى واحتاج إلى العلاج وكانت إحدى وسائل هذا العلاج كتابة الشعر ، ولكن كان شعرة فى تلك المرحلة يحمل مرارة ضياع الحلم ، يقول :

أنا شاب ولكن عمرى ولا ألف عام

وحيد ولكن بين ضلوعى زحام

خايف ولكن خوفى منى أنا

أخرس ولكن قلبى مليان كلام

* * * *

قالوا الشقيق بيمص دم الشقيق

والناس ما هياش ناس بحق وحقيق

قلبي رميته وجبت غيره حجر

داب الحجر .. ورجعت قلبي رقيق (٧)

وفى عام ١٩٧٠م نعى الرئيس جمال عبد الناصر فى قصيدة بعنوان (أنغام سبتمبرية)، وكذلك نظم فى عام ١٩٧١م قصيدته (على اسم مصر)، وقد جمعت أشعاره تلك مع أشعار أخرى ونشرت تحت عنوان (أشعار العامية المصرية).

تزوج صلاح جاهين مرتين ، وله ابن شاعر نهج منهج أبيه فى الشعر العلمى والعمل الصحفى وهو الشاعر بهاء جاهين ، وإبنه تدعى أمينه. وإن كان صلاح جاهين قد انقطع عن اصدار الدواوين الشعرية وعن الحلم الجميل لوطنه مصر إلا أنه لم ينقطع عن كتابة الشعر حتى وفاته فى ٢١إبريل ١٩٨٦م . (٨) .

أما مكانته الأدبية ونخص منها الجانب الشعرى وليس مواهبه الأخرى أو أعماله المسرحية ، فإنه يعتبر من أهم شعراء العامية المعبرين عن أحلام الثورة المصرية ولذلك فقد كرم بمنحه وسام الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى لدوره فى شعر العامية .

كما أن مدرسته الشعرية استعملت مصطلحات بسيطة غير معقده تستعمل فى الشارع المصرى ولكن جاهين صاغها فى سلاسة وسهولة فجذب إلى شعرة الإنسان المصرى البسيط أو رجل الشارع قليل الثقافة ، وفى الوقت نفسه استطاع أن يضيف إلى ثقافة رجل الشارع أفكار العلماء والمثقفين والمفكرين بتعريفة بالرأسمالية والاشتراكية والبيروقراطية واتجاهات الفكر الحر ، لقد جعله حبه لوطنه يرتبط بعرق الكادحين وحلم التنمية الزراعية والتصنيع فعبر عن هذه الكلمات الجافة فى شعرة ببساطة ونقاء وشفافية

إن الفترة القصيرة التى عاشها صلاح جاهين والتى لم نزد عن ثمانية وخمسين عاما قد أنتجت عددا من الأعمال الأدبية وينحصر ما تركة جاهين منشورا فى عدد من الدواوين الشعرية والمسرحيات لمسرح العرائس أما سيناريوهات الأفلام والحوارات التى كتبها فلم يتم حصرها ، وكذلك رسوماته الكاريكاتيرية لم تجمع و لم تخرج فى كتاب وهذا ولا شك تقصير من جانب الباحثين فى حق شاعر كبير مثل صلاح جاهين ، أما أعماله المنشورة فنذكر منها :

١- ديوان شعر بعنوان كلمة سلام .

٢- ديوان موال عشاق القمر .

٣- ديوان عن القمر والطين .

٤- رباعيات .

٥- ديوان قصاقيص ورق .

٦- مسرحية العرائس : حمار شهاب الدين .

٧- مسرحية العرائس : صحصح لما ينجح .

٨- مسرحية العرائس : الليلة الكبيرة وهى مسرحية شعرية .

٩- مسرحية العرائس : الشاطر حسن .

١٠- مسرحية العرائس : الفيل النونو الغلباوى .

١١- مسرحية العرائس : (قاهر الأباليس مع العروسة والعريس) .

١٢- أشعار العامية المصرية.

١٣- زهرة فى موسكو ؛ وهو كتاب عن انطباعاته عن روسيا حينما زارها فى عام ١٩٥٧م .

يصفه الكاتب كمال سعد بقولة : (... إنسان شامل بمعنى الكلمة فهو رسام كاريكاتير وزجّال وقصاص وكاتب سيناريو وواضع أوبريتات وممثل ومؤلف أغانى ، بل - وأيضا - مغن يطربك بأدائه الجميل وصوته الأجش ، وصل إلى قلوب المصريين برسوماته الكاريكاتيرية الساخرة فكان مثل الطبيب الجراح الذى يبحث بمشرطه عن أورام المجتمع التى تحتاج إلى استئصال) . (٩)

أما رفيقه فى جريدة الأهرام الكاتب أحمد بهجت فيقول عنه : (كان صلاح جاهين شمسا تشع بالفرح ، رغم أن باطنه كان ليلا من الأحزان العميقة ؛

وكان يدارى أحزانه ويخفيها عن الناس ويصنع منها ابتسامة ساخرة ويظهر على الناس بوجهه الضاحك كل يوم) (١٠)

* * * *

وبعد استعراض السيرة الذاتية للشاعرين أبى القاسم حالت وصلاح جاهين ، وجب التعريف بمفهوم الوطن عند الشاعرين كما ظهر فى شعرهما .

– الوطن فى شعر حالت وجاهين :

حينما يولد الإنسان ينسب إلى آبائه وأجداده ، ومع نموه وفى مراحل طفولته وصباه تألف نفسه هواء وماء وأرض يعرف مع الأيام أنها وطنه ، وقد يولد الإنسان فى بلاد غريبة ولكن يظل هذا الوطن فى وجدانه من خلال حكايات الوالدين والأجداد ؛ وإلا كيف نفسر رغبة المهاجر ووصيته بأن يدفن فى بلاده ؟ وكيف نفسر عقوبة النفى التى يحكم بها المحتل على الوطنيين ؟ إنه الوطن مهما كان اسمه يجرى فى الدم ويلتصق بالروح ، فالوطن إيران عند أبى القاسم حالت معشوقة يسعد بها حتى لو ضاق العيش فيها ، يقول تحت عنوان (نشانهٔ وطن پرستى وملى گرائى = دليل عشق الوطن والانتماء القومى) :

شاد حس وطن پرستى خويشم
گرچه نصيبم هميشه سختى وتنگى است
گشته غذايم به رنگ برچم إيران
ز آنكه خيار وپنير وكوچه فرنگى است

وترجمتها :

- نفسى سعيدة باحساس الوطنية

- ولو أن نصيبى دائما الهم والضيق

- وكل طعامى أصبح فى لون علم إيران (الأخضر والأبيض)

- لأنه مكون من الخيار والجبنة والكوسة

والوطن عنده هو الأم لذلك يلوم على من يسافرون بعيدا عـــن هـــذه الام لقضاء إجازة عيد النوروز ، يقول مخاطبا لهم :

به جان تو همچون بهشت است اينجا

از اينجا كجاى جهان مى گريزى ؟

بود مادرى مهربان مام ميهن

تو زين مادر مهربان مى گريزى(١١)

وترجمتها :

- روحك تحس كأن الجنه هنا

- فلأى مكان تهرب فى الدنيا ، من هنا

- الوطن هو أمنا الرءوم

- وأنت تهرب من هذه الأم الرءوم

كما أن الوطن هو الدار التي يعيش فيها ، يقول في مسمط بعنوان : (همه جاى ايران سراى من است = كل أرجاء إيران ، بيتي) :

وطن گلشن دلكشاى من است

سزوار مدح وثناى من است

اميد دل مبتلاى من است

به شب برسر خاك جاى من است

بكى خشت هم متكاى من است

همه جاى ايران سراى من است

زآب وهوايش تمتع برم

زگرماش ريزد عرق پيكرم

ز سرماش لرزد تن لاغرم

فتد آفتابش به روى سرم

كه اسباب نشو ونماى من است

همه جاى ايران سراى من است

وترجمتها :

- الوطن هو روضة قلبي السعيد

- ويستحق مني المدح والثناء

- وأمانى القلب هى سبب عذابى

- حينما أكون جالسا فى مكانى ليلا على التراب

- وحجر (واحد) منها هو مضجعى

- فكل أرجاء إيران هى بيتى

- اتمتع بالماء والهواء فيه

- ويتصبب وجهى عرقا من حره

- ويرتعد جسمى النحيل من برده

- وتسطع على رأسى شمسه

- فهو سبب نشأتى ونموى

- فكل أرجاء إيران هى بيتى

لقد عاش أبو القاسم حالت جل عمره فى عصر حكم الأسرة البهلوية لذلك انشغل بالنقد الساخر لأوضاع الوطن عن التعبير عن عشقه لهذا الوطـــــن ؛ وإن كان يكفيه أنه وضع كلمات السلام الجمهورى للثورة الإسلامية تعبيرا عن عشقه لبلاده إيران .

أما الشاعر صلاح جاهين فوطنه هو عشقه الأول والأخير سواء أكان فى حال قوة أو ضعف ، يقول فى قصيدته (على اسم مصر) :

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء

أنا مصر عندى أحب وأجمل الأشياء

باحبها وهى مرمية جريحة حرب

باحبها بعنف وبرقة وعلى استيحاء

واكرهها وألعن أبوها بعشق زى الداء

واسيبها واطفش فى درب وتبقى هى فى درب

وتلتفت تلاقيني جنبها فى الكرب

والنبض ينفض عروقى بألف نغمه وضرب

على اسم مصر (١٣)

والرفيقة والصديقة عند جاهين هى مدينته وعاصمة بــــلاده (القـــاهرة) يعشقها قبل أن يولد ومنذ تأسست ، لذلك يطلق عليها فى عنوان القصيــدة مسمى (صاحبتى) ، يقول :

بنت أصل عريق

والكلام والقوام .. بلدى

دمها كركديه سخن م الأباريق

والمعاملة بساط أحمدى

من زمان فوق عن الألف عام

لحظة لحظة لها حُسن دريان عليه

فى الصباح .. فى الضحى .. فى الظلام

والقمر لما يطلع يطل

يلضم العقد ياسمين وفل

تلبسه الحلوة ، وتغنى لحن الحنين

من على الألف مدنه اللى متكبرة

.. صاحبتى الحلوة يمكن نغمها حزين

حين وحين ، انما صاحبتى مغندرة

واسمها (القاهرة) . (١٤)

لقد تفتق وجدان صلاح جاهين الشعري مع ثورة مصر ١٩٥٢م وتحولها إلى جمهورية ؛ وكان لا يزال فى بداية شبابه فوجد فى الثورة الحلم الذى تحقق والأمانى الجميلة ، فنظم الكثير من القصائد المعبرة عن معشوقته الأولى مصر أو الوطن ، وكان يرى أنها ليست معشوقته وحده بل هى معشوقة الفقير أيضاً الذى يعمل حمالاً فى السوق ؛ يقول فى قصيدة (الأمير) :

.. عتالٌ فقير فى السوق يسير محنى البدن

حكموا عليه يفضل كده طول الزمن

لحد ما فى يوم دق باب قلبه الهوى

وكان هواه وغرام صباه هو الوطن (١٥)

ويطرح الحديث عن الوطن سؤالاً مفاده هل الحديث عن الوطن هو حديث عن السياسة ؟ يجيب حالت فى شعره يقوله

ز آنچه گفتار سياسى است دهن بايد بست

نه از آن ونه از اين ونه ازو بايد گفت (١٦)

وترجمته :

- عن الكلام فى السياسة ؛ الفم يجب غلقه ، فلا تتكلم عن هذا أو عن ذاك أو عنه .

أما صلاح جاهين فيجيب فى قصيدته (كلام فى السياسة)

وأنا ايش أكون وحدى لولاش بلدى عليا

سموا الشعور ده حب والا تعاونيه

ما ليش كتير فى السياسة . (١٧)

إن قضايا الوطن وهمومه عند أبى القاسم حالت وصلاح جاهين ليس الخوض فى حديث السياسة، لكن هو المجتمع والناس ، هو شعب إيران وشعب مصر ، إن هدفهما هو البشر أو الإنسانية ، يقول جاهين فى قصيدة : (مقدرش أنسى البشر)

موجود على الأرض موت وجروح وشوك وخراب

جنب الزهور والطيور والمنظر الجذاب

جنب الخدود والنهود وعواطف العُزّاب

موجود جنود بجرمين ناقصين قرون وأنياب

مستعبدين أرضنا ومنجسين الاعتاب

مقدرش أنسى دا كله واتوه أنا فى شعاب

مقدرش أنسى البشر متوزعين أسلاب

بين الحرامى دالاس وتشرشل النصاب

وأوصف جمال الغروب والشمس نازفة سحاب

ملزوم أحس بألم وانزف قصايد نار

تضحك لنا من بعيد أيام حا تبقى شباب

ويقول حالت فى رباعية عنوانها:همدردى با مؤمنين = مواساة المؤمنين

چون تاب نماز وروزه نتوان آورد

وز اهل عبادت نتوان دورى كرد

باسور زدن به وقت افطار وسحور

با مردم روزه گير هستم همدرد (١٩)

وترجمتها :

حينما لا أقدر على جهد للصلاة والصوم

ولا نقدر عن أهل الدين نبتعد ولا يوم

ونقيم الاحتفالات فى وقت الفطور والسحور

أصوم أنا أيضا مع الناس مشاركة فى الهموم

ويشارك جاهين الشاعر حالت برباعية تحمل معنى رباعيته يقول فيها :

أنا كل يوم اسمع .. فلان عذبوه

أسرح فى بغداد والجزاير واتوه

ما أعجبش م اللى يطيق بجسمه العذاب

أعجب من اللى يطيق يعذب أخوه

عجبى (٢٠)

إن الشاعر حينما يعبر عن أبناء وطنه فى همومهم وعذاباقم ؛ يعبر فى الوقت نفسه عن الإنسان فى هذه الدنيا ، فالمسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، أنه الشعور بالإنسانية أو الشعور بالآخر فى أخلاق الشعراء المسلمين .

– حواشي : مكانة الشاعرين حالت وجـــاهين فى المجتمعـــين الإيـــرانى والمصرى :

(١) أبو القاسم حالت ، ديوان أبو العينكـــــ ، ط٢ ، تهران ، ١٣٧٢ش ، ص٣ .

(٢) سيد محمد باقر بقعى ، سخنوران نامى معاصر ايران ، جلد دوم ، تهران ، چاپ اول ، ١٣٧٣ش ، ص١٠٥٤ .

(٣) سخنوران نامى معاصر ايران ، جلد دوم ، ص١٠٥٥ .

(٤) ارجع إلى مقدمة ديوان أبو العينك بقلم زين العابدين مؤتمن ، ص٧،٨،٩، النص الفارسى : (. . حالت در شعر سبكى خاص وروشـــى ممتـــاز دارد كه كسانيكه با اسلوب مخصوص او آشنا هستند هر كجا شـــعرى از آن أو بيند اگرچه ذكرى از گوينده نرفته باشد فوراً آنرا تشخيص ميدهنـد ، اين حس ابتكار چه انتخاب موضوع واختراع مضمون هاى تازه وچـــه در كيفيت بكار زدن الفاظ وتركيبات بديع جلوه گر ميگردد ... حـــالت خود در شعر ذيل باين نكته اشاره ميكند

گر اروبائى بود هر روز فكر اختراعى

بنده هم هر هفته شعرى ميسر ايم ابتكار

. . . از اشعار او بازى با الفاظ است در ساختن تصنيف هاى فكـــاهى واجتماعى نيز از اين غريزه ابداع وابتكار استفاده شده چه در حقيقت تـــا قبل از اقدام حالت باستفاده از آهنگهاى فرنگى وغير مـــأنوس اســـتفاده

هستند بشيوه اى مطلوب وبيانى مليح شرح داده اشعارش نمونـــــه افكـــار ومعتقدات سياسى وقت وابتلاآت وآرزوهاى مردم است) .

(٥) سخنوران نامى معاصر ايران ، جلد دوم ، ١٠٥٦ .

(٦) صلاح جـــاهين،ديـــوان عـــن القمروالطـــين،نشـــر الهيئـــة العامـــة للكتاب،القاهرة،١٩٧٧،ص٢٠٠ ، ٢٠١

(٧) انظر كمـــال ســـعد،مشاهيروســـــاخرون وصعـــــاليك،كتـــاب الشعب،القاهرة،١٩٩٨م،ص٧٥ ، ٧٦ .

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر على الإنترنت موقـع AL – Ahram ، وموقع

The Egyption State in formation Service

وانظر مقدمته على دواوين صلاح جاهين ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، صـــــ ٣:٧ .

(٩) كمال سعد مشاهير وساخرون وصعاليك ، ص٧٥ .

(١٠) صلاح جاهين ، أشعار العامية المصرية ، ط٢ ، القاهرة ، ص١٧٨ .

(١١) أبو القاسم حالت ، ديون بچه ها برق آمده ، چاپ اول ، ١٣٧٢ش ، تهران ، ص٤٥، ٦٣ .

(١٢) حالت ، ديوان أبو العينـــك ، چـــاپ دوم ، ١٣٧٢ش ، تهـــران ، ص٤٩٣ .

(١٣) جاهين ، أشعار العامية المصرية ، ص ١٣٩:١٤٢ .

(١٤) جاهين ، ديوان قصاقيص ورق ، ص٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(١٥) جاهين ، أشعار العامية المصرية ، ص١٣٥ .

(١٦) ديوان أبو العينك ، ص٨٠ .

(١٧) ديوان عن القمر والطين ، ص١٥٥ ،١٥٦ .

(١٨) صلاح جاهين ، ديوان كلمة سلام ، ص٣٢ ، ٣٣ .

(١٩) ديوان أبو العينك ، ص٤٢٠ .

(٢٠) صلاح جاهين ، رباعيات ، ص٢٢١ .

ثالثا- مـــن همـــوم الوطـــن الإيرانـــى والمصـــرى

١- الفقر أو التخلف المادى والحضارى :

معيار التقدم الحضارى فى القرن العشرين معيار مادى وليس معيارا أخلاقيا ؛ معيار يقوم على القوة الاقتصادية وثروات الدولة ، أما المعيار الأخلاقى فقـد تراجع أمام احتياجات الشعوب الغذائية والعسكرية ،وأصبـــح القمـــح أو السلاح أهم من حقوق الإنسان فى الأمن والحياة والحرية الدينية ، من هنـــا انقسم العالم إلى قوى عظمى هى دول العالم الأول ، ودول نامية هـــى دول العالم الثالث .

وقد صُنِّفت إيران ومصر بموجب المعيار المادى على أنهما مـــن دول العـــالم الثالث ، والمقصود بهذا الاصطلاح أنهما من الدول الفقيرة اقتصادياً ، لذلـك يعانى مجتمعاهما من المشاكل الاقتصادية أو الهموم التى تحـــاول حكوماتهمـــا حلها ومن هذه الهموم مظاهر الفقر لبعض طبقات الشعب ، ومعاناة عنـصر المجتمع من موظف أو عامل أو فلاح من الهموم المختلفة ؛ وضعـــف البنيـــة الأساسية ، ووجود مشكلة البطالة أو عدم وجود عمل للشباب ، ويـــترتب على الفقر هموم أخرى بيئية مثل تلوث الهواء والماء ، ومن الهمـــــوم أيضـــاً مشاكل الأمية وكيفية محوها،ومشاكل المواصلات وارتفاع الأسعار وأزمـــة المساكن. إلخ)

وإن كان المعيار الاقتصادى يُصّنف ايران ومصر بالدول الناميـــة ؛ فالمعيـــار الأخلاقى يجعلهما من دول العالم الأول لأنهما من الدول العريقة حضاريـــاً والتى تمتد حضارتها إلى آلاف السنين وما قبـــل الميـــلاد ، وقـــد أضـــافت

حضارتهما القديمة فى عصورهما المختلفة وتجاربها العديدة السلوك الحضارى على الإيرانى والمصرى ، لذا ترسخ فيهما أن السلوك الحضارى يبدأ بنقد الذات ، من هنا تصدى شاعران كبيران فى إيران ومصر بحسهما الحضارى لنقد الذات بتشخيص قضايا وطنيهما وهمومه بدلا من مدح الملوك أو التغزل فى النساء ؛ وتحديد الداء هى الخطوة الأولى نحو العلاج .

يتناول الشاعر أبو القاسم حالت قضية الفقر والفقراء فى أكثر من قصيدة وبأكثر من صورة ، نعرض منها البعض . يقول فى قصيدة بعنوان (خانه فقرا = بيت الفقراء) والتى نظمها عام ١٣٤٦ش = ١٩٦٧م ونشرها بمجلة توفيق :

در خانه ى ما نانى وآبى نتوان يافت

جز درد وغم ورنج وعذابى نتوان يافت

چشمت اگر اين جا ز پى سيخ كباب است

صد سيخ توان ديد وكبابى نتوان يافت

* * * * *

در خلنة ى اين مخلص شرمنده مفلس

غير از در وديوار خرابى نتوان يافت

لب تشنه درين دشت دوان است پى آ ب

غافل كه به ره غير سرابى نتوان يافت

گفتم که : چرا قسمت ما نیست خوش ؟ گفت :

از هر سوآل تو جوابی نتوان یافت (١)

وترجمة الأبيات تقول :

– فى بيتنا استحالة تجد خبز ولا ماء ، لن تجد غير الغم والألم والعذاب .

– وإذا عينك بحثت فى المكان عن سيخ كباب ، سترى مائة سيخ لكن لـــن تجد الكباب .

– فى بيت (أخوك) المخلص الخجول المفلس ، استحالة تجد غـــير بـــاب وجدران خراب .

– سألت : لماذا قسمتنا غير طيبة ، قال : استحالة عن سؤالك تجد الجواب.

ونقتطع من قصيدة أخرى لحالت بعنوان (گرسنگی وعاشقی = الجـــوع والحب) ، ويتناول فيها الفقر ، هذين البيتين :

بار من بار نشد ، بخت ، مرا یار نشد

چونکه هر حیله وهر فوت وفن ازیادم رفت

بودم آنقدر نه فکر شکم وغصه ی نان

که دگر غصه ی کار وطن ازیادم رفت (٢)

وترجمتها :

– بضاعتى ليست بضاعة ، وحظى لا صاحب له ، حينما ذهبت عن رأسى الحيل والفهلوه .

– وكنت مستغرقا فى التفكير بمعدتى وهم اللقمة ، حتى أن هموم الوطن الأخرى ، ضاعت من تفكيرى

إن تناول حالت لقضية الفقر فيه تشخيص للداء وتنبيه إلى ضـــرورة إيجـــاد العلاج لهموم الفقر ، أما صلاح جاهين فإنه يعبر عن الفقر الموجود فى بلاده ولكنه يضيف إليه الأمل فى إنهاء الفقر وتصحيح الأوضـــاع ؛ لأن ثورتـــه قامت من أجل الإصلاح الاجتماعى ولذلك فهو يشخص الـــداء أمـــلا فى العلاج ويخاطب الفقراء الذين لا يجدون بيوتا يحيون فيها فيصنعون بيوتا مـن الصفيح ويبشرهم بأن معاناتهم أو شكت على الإنتهاء ، يقول فى قصيدة (غنوة برمهات) :

قول للى فى البيت الصفيح افتحوا

صاحبكم الغايب رجع ، صحصحوا

صاحبكم إتلطم كتير ،

اصفحوا

يا ساكنين الصفيح

استبشروا وافرحوا

أنا ما نيش المسيح

علشان أقول لكم

طوبى لكم غلبكم

لكني باحلف لكم

بأحلف بكم .. وباقول

الدنيا كدب فى كدب ، وانتوا بصحيح . (٣)

ويظل جاهين يعبر عن الخلاص من الفقر ؛ بالعمل والزراعة والصناعة خاصة وقد انهت ثورته سيطرة المحتل الإنجليزى ، وبقى الحلم فى التقدم للتخلص من الفقر ، يقول فى مخمس بعنوان (موال عشان القنال) :

حل العدو عن بلادنا سالمة يا سلامة

وخلاص ما عدناش فى دارنا غرب ويتامى

الخير حيبقى حدانا فى البلد ياما

لما تزيد الغيطان ونقيم مصانعنا

الخير يكفى الجميع ونعيش بكرامة . (٤)

ومن مظاهر الفقر ضعف البنية التحتية أو إمدادات المياه والكهرباء ، والصرف الصحى ، لذلك يظهر فى المجتمع مشكلات مثل انقطاع المياه أو الكهرباء ، يعبر حالت عن هاتين المشكلتين فى قصائد كثيرة ؛ نشير إلى بعضها :

يتحدث عن هموم انقطاع المياه النظيفة فى قصيده بعنوان : (كمیابی آب = ندرة الماء) ، نظمها عام ۱۳۲۳ش = ١٩٤٤م :

بار دیگر آبرو کمیاب شد

چشمه های آب وزین غم چشم ها پرآب شد

همچو حوض خانه ی ما جوی ها گردید خشك

نوبت بیکاری مشد اکبر میراب شد

همچو نان آب جنوب شهر تاگردید قطع

هر دلی در رنج ماند وهرتنی در تاب شد

* * * * *

حضرت آقای آبی نیز شد سرمایة دار

تا فروش آب سطلی یك تومن اسباب شد

گاه نفت وگاه آب وگاه نان وگاه گوشت

هر یکی تا مدتی در ملك ما نایاب شد

گر که ایرانی زکید اجنبی ترسد ، رواست

بره آخر کی تواند ایمن از قصاب شد ؟

وترجمة الأبيات :

- مرة تانية والمياه مثل الحياء نادرة ، وعيون المياه جفت لكن من الهم وعيون الناس بالدمع ملأنه .

- مثل خزان بيتنا الترع صارت أيضا جافة ، إياك والبطالة واعمل مهندس رى .

-ومثل الخبز ؛ المياه دائما مقطوعة فى جنوب المدينة ، والقلوب بقيت مكدوده والأجساد محمومة

- وخضرة الأستاذ مياه أصبح رجل غنى ، طالما هو يبيع دلو المياه بتومان (بجنيه) .

- أحيانا النفط وأحيانا المياه ؛ ومرة الخبز ومرة اللحم ، كل واحد منهم فى مملكتنا يظل لفترة نادرا .

- لو يخاف الإيرانى من كيد الأجنبى ، فمتى يسلم الحمل الوديع من يد الجزار ؟

إن هموم الفقر وانقطاع الماء لا تقتصر فقط على الماء ولكن الخبز واللحم والنفط يشاركون الماء فى عادة الانقطاع ، يقول حالت فى قصيدة أخرى عنوانها (نان وآب = الخبز والماء) نظمها أيضا فى عام ١٣٢٣ش = ١٩٤٤م

أمروز قصه ى كمى آب وقحط نان

اندر ميان جامعه ورد زبان شده است

از سختی گرسنگی ورنج تشنگی

دل بیقرار گشته وتن ناتوان شده است

* * * * *

بودند این دو پشت وپناه من وکنون

این اینچنین در آمده ، آن آنچنان شده است

چون یاد نان کنم ، دهنم آب اوفتد

این است آنچه قسمتم از آب ونان شده است (٥)

وترجمة الأبيات :

- اليوم أصبحت حكاية انقطاع المياه وقلة الخبز ورد من الأوراد على لسان المجتمع .

- ومن قسوة الجوع وشدة العطش ، القلب اضطرب والجسم صابة الوجع.

-كلاهما كان ظهري وسندى (يقصد الماء والخبز) والأن من أين يأتى هذا وذاك من أين يرجع .

-وحينما اذكر الخبز ؛ يسيل لعابى ، وهى قسمتى وهذا نصيبى من المياه والخبز .

ومن المعروف تاريخيا أن إيران قد عانت فى نهاية عصر أحمد شاه القاجارى من أزمة غذائية عرفت باسم أزمة الخبز فى عام ١٣٠٥ش = ١٩٢٦م وذلك بسبب الجدب الزراعى .(٦) ويبدو أن الأزمات الزراعية

والجدب قد استمرت وتفاقمت فى إيران لفترات طويلة ، وعانى منها الشعب معاناة كبيرة ، أما هم انقطاع الكهرباء فقد تناوله أبى القاسم حالت بصورة ضاحكة ساخرة ، وبفلسفة أن شر البلية ما يضحك ، يقول فى قصيدة نظمها عام ١٣٦٨ش = ١٩٨٩م ، وعنوانها (برق رفت ، برق آمد = النور انقطع ، النور جاء) :

برق رفت وخانه أم تاريك شد ، تكليف چيست ؟

كشور ما نفت خيز است ، وبه منزل نفت نيست

آنكه با خاموش مطلق نخواهد ساخت ، كيست ؟

ناگهان برق آيد و از بسكه اسباب خوشى است

گويا كز آسمان گرديده نازل مائده

بچه ها برق آمده ، اى بچه ها برق آمده

برق ايران تيرگى آرد به جاى روشنى

تابه تاريكى نبينى روى هر ناديدنى

روى هر اهر يمن ورسم وره اهر يمنى

رنج بد بخت فقير وگنج خوشبخت غنى

برق در شب پرده برمى دارد ازهر مفسده

بچه ها برق آمده ، اى بچه ها برق آمده (٧)

وترجمة الأبيات :

- انقطع النور ، وبيتى أصبح ظلام ، وما العمل ؟

- (ويقال)بلادنا تستخرج البترول ، وبيتنا منه فارغ.

- وماذا تستطيع أن تفعل فى أجهزة خربه ، ومن يقدر ؟

- (لكن) فجأة النور عاد ، والسرور تعددت أسبابه

- وكأنها مائدة ونزلت من السماء

- يا أولاد النور جاء النور جاء يا أولاد

- كهربة إيران تنشر الظلام بديلاعن النور

- لأن فى الظلام لن تر أى وجه قبيح

- لا وجه الشياطين ، و لا حيل وطُرق العفاريت

- سوء حظ الفقير هو التعب ، وحسن حظ الغنى الكنز المختفى

- والكهربة فى الليل تفضح كل مفسده

- يا أولاد النور جاء النور جاء يا أولاد

* * * * *

ان الفقر والتخلف المادى والحضارى ينعكس على عناصر المجتمع وفئاتـــه ، فيعانى الموظف الحكومى والفلاح ، كما يعانى العامل من قلة الدخل وعـدم التوازن بين دخل الفرد ونفقاته ، وتتراكم هموم الطبقـات الإجتماعيـة فى

الوطن الواحد ، ويبدأ الحل بتشخيص الداء . يتحدث أبو القاسم حـــالت عن هموم الموظف الحكومي فى قصيدته (كار مندم ، كار منـــــدم = أنـــا موظف ، أنا موظف) فيقول :

خرشدم ، وز کودکی کاری جنون آمیز کردم

در کلاس درس ، گوش هوش خودرا تیز کردم

درس خواندم روز وشب ، وز تنبلی پرهیز کردم

عاقبت هم دار اداره جا به پشت میز کردم

چون نبود از این نکوتر پیشه ای باب پسندم

کارمندم ،کارمندم ،کارمندم ،کارمندم

خرج بسیار وحقوق کم ، برایم شد عذابی

گر که در کارم نگیرم از کسی حق وحسابی

حل نگردد مشکلم ، در زندگی ازهیچ بابی

ور بگیرم هر کاری رشوه ای از لا کتابی

دست قانون جانب زندان برد بادستبندم

کارمندم ،کارمندم ،کارمندم ،کارمندم

با حقوقی در حدود شش هزاز وشصت تومان

یك زن ویك مادر ویك بچه را باید هم نان

أين يكى خواهان شلوار است وآن محتاج تنبان

اندرين كشور كه خزجان هيچ چيزى نيست ارزان

مُردَم ، از بس هى طلبكاران چو ماران مى گزندم

كارمندم ،كارمندم ،كارمندم ،كارمندم (٨)

وترجمة الأبيات :

– أنا حمار شغل ، ومن الطفولة وأفعالى فيها لمحة جنون .

– فى الفصل أدرس ، وبسرعه أفهم فى لمحه .

– اذاكر ليلا و نهارا ، و طوال عمرى لم أكن كسلان .

– وفى النهاية صار مكانى وراء المكتب فى الإدارة

– و لانه لم يكن هنالك حرفة أفضل يا والدى ، انبَسَطّ

– إنى موظف ، أنا موظف ، أنا موظف ، أنا موظف

– النفقات كثيرة والدخل قليل ، وما يبقى لى عذابى

– وإذا فى عملى لم آخذ من أحد حقى وحسابى

– فلا يمكن أن تنحل مشكلتى فى الحياة من أى باب

– وإذا أخذت على كل عمل رشوه ولو من زنديق

– فيد القانون تكبلنى وتحملنى إلى الليمان

– (أصل) أنا موظف ، أنا موظف ، أنا موظف ، أنا موظف

- المرتب حوالى ستة آلاف وستين تومان .

- والزوجة وأمى وإبنى يريدون طعام .

- واحد يريد بنطلون والثانى يريد قمصان

- وفى البلدلا يوجد أرخص من روح الإنسان

- مت ، آه من عدد المراجعين ، ومن سرعتى كأنى ثعبان يلدغ

- (أصل) أنا موظف ، أنا موظف ، أنا موظف ، أنا موظف

وكما يعانى الموظف فى إيران من قلة الدخل وزيادة النفقات ، فان الموظف فى مصر يماثله ولا يختلف عنه كثيرا ، وكأن حالت و جاهين قد استشعرا حال الموظف فقررا التنبيه لأحواله من أجل الإصلاح الإجتماعى ، يقول جاهين :

اللى زيك وبيشتغل بالأجرة

واللى زيى وله ماهية مسوجره

طول حياتنا نعرق على رغيف عيشنا

والنهارده ما يفيض حاجة لبكره

طول حياتنا نعرق على رغيف عيشنا

طول ما عشنا ما عمرناش حوشنا

المساكن والأكل ناتفين ريشنا

والملابس جايين لنا بالقدرة

ناس كتير فى البلد زيك وزيى

كلنا مولودين فى أحوال تعبى

القرف مشترك فى حيك وحيى

فى الحسين والإمام وغمره وشبرا (٩)

إن أحوال الموظفين فى إيران ومصر كما صورها حالت وجاهين ، هى قطعا ليست من أجل التسلى بالشعر أو مواساة الموظفين ، ولا حتى للسخرية من أحوالهم ؛ إنما بلا شك محاولة للدفع بالتى هى أحسن - كما يأمر الخُلق الإسلامى - كى تتنبه الحكومات وتسعى إلى إصلاح أحوال الموظف الحكومى . وهى من جانب آخر تعبر عن الأدب الملتزم الذى يناقش قضايا الوطن بأسلوب سهل رقيق ، بعيد عن أسلوب الخطب المنبرية .

و لم يقتصر حالت وجاهين على أحوال الموظف الحكومى ، بل تناولا أيضا عنصر آخر من العناصر المكونة للمجتمع ، وأعنى به الفلاح أو المزارع ، إن المعاناة التى عاناها الفلاح فى إيران نتيجة استبداد حكومة بهلوى ، تشبه إلى حد بعيد استبداد الإقطاع فى مصر قبل الثورة بالفلاح ، إنها مشكلة من يكد ويكدح ويزرع من أجل الجميع ثم لا تعود عليه ثمرة كفاحه ، وإما أن تشترى حكومة بهلوى قمحه بأبخس الأسعار أو يستولى الإقطاعى على قمحه ويعطيه الفتات . يصور حالت هموم الفلاح الذى ظلمته الإدارة الحكومية واستولت على قمحه فى شعر نظمه عام ١٣٢٣ش = ١٩٤٤م ،

وعنوانها (كندم ، گل كندم ، گل گندم = القمح ، سنبلة القمح ،سنبلة القمح) :

نانى كه بود حاصل يكساله دهقان

زو مفت خرد دولت عليه ى ايران

اين باز رسان را نه شرف هست ونه وجدان

آن گونه كه گرتيغ نهى در كف ايشان

صد لجه ى خون هر طرف آيد به تلاطم

گندم ، گل گندم ، گل گندم (١٠)

وترجمة الأبيات :

– القمح وهو محصول الفلاح فى سنه ، اشترته دولة إيران العلية بأرخص الاسعار .

– وهذا فى عرف المحاسبين لا هو شرف ولا حنان ، لكنه بطريقة من يمسك بسيف التهديد .

– من كل ناحية جاءت سيول دم تتلاطم ، من أجل القمح وسنبلة القمح ، سنبلة القمح .

وفى مصر كان الإقطاع فى غالبه يستبد بالفلاح ، فالإقطاعيين هم الطبقة المالكة للأرض الزراعية ، وكان الفلاح المصرى يزرع لها بأبخس الأجور وفى النهاية لا يجد ما يكفية من القمح ليطعم أولاده ، لذلك اهتمت ثورة يوليو

فى مصر بأحوال الفلاحين وملكتهم الأرض التى يزرعونها ، يقول جاهين فى قصيدة نظمها عام ١٩٥١م وعنوانها (زى الفلاحين) :

القمح مش زى الدهب

القمح زى الفلاحين

عيدان نحيله جدرها بياكل فى طين

زى اسماعين

ومحمدين

وحسين أبو عويضه اللى قاسى وانضرب

علشان طلب

حفنة سنابل ريّها كان بالعرق

عرق الجبين

القمح زى حسين يعيش ياكل فى طين

أما اللى فى القصر الكبير

يلبس حرير

والسنبلة

يبعت رجاله يحصدوها من على

عود الفقير (١١)

إن حالة الموظف الحكومى والفلاح صورتان تمثلان بعض قضايا الوطن الإيرانى والمصرى وهمومه، ولكن هل تقتصر الهموم على هموم الموظف أو هموم الفلاح ؟

لو حاولنا البحث فى أحوال عناصر المجتمع الأخرى مثل العمال والتجار والمدرسين .. وغيرهم من عناصر المجتمع ؛لوجدنا هموم كثيرة تثقل الوطن بالأعباء ولكننا نكتفى هنا بهذين النموذجين لننتقل إلى نوع آخر من الهموم وهى الأزمات ، وأعنى بها أزمة المواصلات ، وأزمة الإسكان وأزمة البطالة والأزمات البيئية مثل تلوث الهواء والأزمات التى تنتج عن ارتفاع الأسعار . . . . إلخ ، وهل تنتهى الأزمات فى العالم ؟ فلنستعرض بعض هذه الأزمات مما تناوله شعر الشاعر أبى القاسم حالت والشاعر صلاح جاهين .

يعبر حالت عن أزمة المواصلات خاصة ازدحام المواصلات العامة فى قصيدة عنوانها (زنده به گور = حي في مقبرة) ، بقوله :

گر كه چون شمع گذارند به فانوس مرا

به كه سازند گرفتار اتوبوس مرا

مفلسى نيز گناه است وبدين جرم و گناه

در اتوبوس فلك ساخته محبوس مرا

پيش من تند شده وسخت نهد تحت فشار

مردكى نره خر ومضحك ومنحوس مرا

* * * * *

با اتوبوس روم تا دم دروس ولى

مرده ام چونكه رسانند به دروس مرا

خفقانى كه دهد دست به هر زنده بگور

در اتوبوس بخوبى شده محسوس مرا (١٢)

وترجمة الأبيات تقول

- ياليتنى كنت شمعه تذوب فى فانوس ، ولا كنت أسير داخل الأتوبيس .

- وذنبى الثانى أنى مفلس ، وبسبب هذا الذنب والجرم أصبحت محبوسا فى أتوبيس وكأنى محبوس فى (الفلكة).

- أمامى سد والضغط على شديد من فوق ، وكأنى حمار صغير مضحك وأيضا منحوس .

- ركبت الأوتوبيس لأجل بعض الدروس ،وحينما وصلت لدروسى كنت كمن مات .

- وخرسة اللسان التى يحسها حى داخل مقبرة ، هى إحساسى بالشفاء - - داخل الأوتوبيس .

وقد عانت مصر أيضاً من أزمة المواصلات ولكن صلاح جاهين التفــت إلى أزمة أكبر تفوق أزمة المواصلات وأعنى بها أزمة الإسكان ، وذلك بســبب تزايد المواليد فى مصر وعدم تزايد بناء البيوت بنفس معدل تزايد الســكان ،

لذلك كانت أزمة تزايد السكان من أكبر هموم مصر والتى حاولت حلها على مر السنين ولكن زيادة السكان كانت تبتلع هذه الحلول ، يعبّر جاهين عن هذه الأزمة ؛ بقوله :

معنى الكلام – والسلام – فيه دوشة على السكن

معنى الكلام .. صلوا ع اللى القلب له مسكن

معنى الكلام .. امسكوا فى أصل السبب مسكا

أصل السبب دولة نامية ورامية فوق خالص

والهمة فى القمة واخده حدها خالص

خدوا منى كلمة ، وحكمة من دهب خالص

دا مين فيها خالص ، ومين فيها يتمكن يتمسكن

معنى الكلام – بالتمام – يا حكم يا محلى

نغنغ ، ولعلع ، بتنظيم ريفى ومحلى

الكل تنه ف محله ، وتنى فى محلى

تتغدى وتخلى ، ونزور بعض فى المسكن (١٣)

وهناك أزمة مصرية أخرى عانى منها المجتمع المصرى قبل الثورة وهى أزمة توفير العمالة أو تقليل أعداد العاملين من المصريين فى المصانع أو الهيئات الحكومية ، فلما قامت الثورة التزمت بتوظيف خريجى الجامعات حتى تقلل من نسبة البطالة ، ولكن مشكلة البطالة مشكلة تتجدد مع ازدياد عدد

السكان ، تناول صلاح جاهين هذه المشكلة قبيل شهور قليلة من اندلاع الثورة فى مصر عام ١٩٥٢م وذلك فى قصيده (دموع ورا البرقع) :

أنا لوحدى مفيش حاجه

بجرد اسم متشخبط على ورقة

فى إيد واحد مدير أصله قومسيونجى

يقدمها لتركى والا لخواجه

لا يعرف عربى ولا شفقه

يروح ماضى بقلم باركر بلا فرنجى

أروح مرفود

وأصبح اسمى متعلق على اللوحة

تشوفه زمايلى فى الجايه والروحه

يفوت عامل فى إيده نص شقة فول

يقف ويقول :

يا عالم ربنا موجود

مفيش مهرب من التوفير

وعامئول ما رفدوا كتير

ويدخل وحده فى المصنع

وأنا أطلع

أنا لوحدى (١٤)

إن توفير العمالة يعنى قطع الموارد المالية للفرد أو المواطن ، وينعكس هذا الأمر بقسوة على أسرته فتعانى الزوجة كما يعانى الأبناء ، وإن كانت البطالة همّ شديد من هموم الوطن فهناك همّ آخر لا يقل قسوة على المواطن وهو همّ زيادة الأسعار ، يعبر عن ذلك الشاعر الإيرانى أبى القاسم حالت فى سخرية مريرة ، متلاعبا بمعنى كلمة (آزاد) وتعنى الحرية ، وهى اسم لنوع من الأسماك . فى الوقت نفسه يقول تحت عنوان (ما هى أزاد = سمك آزاد (الحرية) :

پريشب دوستى در محفلى داشت

ز نرخ ما هى آزاد فرياد

رفيق ديگرى ناگاه برسيد

چرا خود نام أين ما هى است (آزاد)

بگفتم نام او (آزاد) از آن روست

كه هرگز توى تور ما نيفتاد (١٥)

وترجمة الأبيات :

- ليلة أول البارحة كان هناك صديق فى جمع ، يصرخ من سعر سمك (الآزاد = الحر)

– فسأله فجأه صاحبنا الثانى ، لماذا اسم هذا السمك (آزاد) .

– فقلت :من الجائز أن اسمه الحر ، لأنه لن يدخل فرننا أبدا و(ينشوى) .

ومن هموم ارتفاع الأسعار ينتقل حالت إلى هم آخر يقض مضجع إيـــران ويضع العراقيل أمام رغبتها فى التقدم ألا وهو مشكلة الأمية . يشير إلى هذه المشكلة فى قصيدته (كشورعجم =بلاد العجم) فيقول :

أمور كشور از آنرو نمى شود اصلاح

كه بيسواد زياد است وباسواد كم است (١٦)

وترجمته :

– من هذه الناحية فان أمور البلد لا يرتجى فيها اصلاح ، فـــالأميين أكـــثر والمتعلمين أقل .

إن الأمية أو الجهل هى العدو الأول الذى يجب قهره حتى يتقدم الانسان فى طريق الحضارة وينعم بالرفاهية والإستقرار فى وطنه ، ولا شك فى أن التعليم هو السلاح الذى يجب أن يقضى على الأمية ، وبذلك يقضى على الجـــهل بكل أنواعه ، الجهل الدينى ، والجهل الصحى ، والجهل الأخلاقى . . . إلخ ، لقد عبر حالت عن يأسه من الإصلاح فى بلاده لأنه يؤمن بأن التعليم هـــو الوسيلة الهامة للإصلاح فوضع بذلك يده على سبب الداء الذى كبل وطنـــه هموم كثيرة .

وهناك هم آخر من هموم إيران تناوله أبي القاسم حالت في قالب حكايـــة ساخرة عن تلوث هواء إيران ، وحكايته تحت عنوان (آدم حرف شنو = يا بني آدم إسمع الكلام)وقد نظمها عـــام ١٣٦٨ش = ١٩٨٩م ، يقــول في حكايته الشعرية :

راديو از راه دلسوزی به خلق اخطار كرد

گفت : در تهران هوا آلودگی دارد شديد

از تنفس در هوائی (كا ينچنين) آلوده است

رنج ها آيد به بار ودردها گردد پديد

از تردد در خيابان ها وميدان های شهر

بايد اينك دور ماند وگوشة عزلت گزيد

من كه می كردم ز ميدان بهارستان گذار

دوستی ديدم كه از ميدان به منزل می دويد

گفتم : از ميدان چرا در می روی ؟ خنديد وگفت :

چون در اين حال وهوا سالم نفس نتوان كشيد (١٧)

وترجمة الأبيات :

- أعلن الراديو للناس بحرقة قلب ، وقال الهوا شديد التلوث في طهران

- وأن التنفس في هواء كهذا ملوث ، يجلب المتاعب ويظهر الأمراض

والواجب ؛ عن الشوارع وميادين البلد ، وفى العزلة يبتعد الإنسان .

- وحينما كنت أعبر من ميدان بمارستان ، رأيت صديق يجرى لبيته من الميدان .

- سألته : لماذا الجرى من الميدان ؟ ضحك وقال : حتى سليم النفس وحال الهواء كهذا ، فى أخذ النفس تعبان .

إن ما استعرضناه من هموم ناتجة عن الفقر أو التخلف المادى والحضارى هى جزء بسيط أو قليل من هذه الهموم ، وهناك العديد من المشاكل الأخرى والقضايا التى تثقل كاهل الوطن .

٢- صفات ونماذج سلبية اجتماعية (الأمراض الاجتماعية) :

إن قضايا الوطن وهمومه قد تنبع أحيانا من أبنائه ، فكل مجتمع يضم بعض الأنماط السلوكية السلبية التى تزيد من همومه ؛ كالإسراف فى المناسبات القومية والدينية . ولا شك فى أن الإسراف كنمط سلوكى فى المجتمع يؤدى إلى تعرض الوطن لضغوط أجنبية اقتصادية خاصة ان كانت احتياجاته تأتى عن طريق الاستيراد .

وإلى جانب الأنماط السلوكية السلبية ، نجد أيضا نماذجا من أفراد الوطن يستغلون احتياجات الناس مثل الذين يرسّخون سياسة الاحتكار ، وهناك آخرون يلعبون دور الرقيب السياسى فى المجتمعات الاستبدادية ويسعون إلى تكميم الأفواه ، وآخرون يسعون بالإفساد بين عناصر الشعب بترسيخ التعصب الدينى والانحياز نحو جماعه دينية محددة ، وهناك أفراد من الشعب

يرفعون شعار (الآنا مالية)أى لا يهتمون بمشاكل الوطن وكل ما يشغلهم مصالحهم الشخصية فقط حتى لو اقتضى الأمر الإضرار بالوطن ، ويشاركهم أفراد آخرون يرفعون مبدأ الغاية تبرر الوسيلة وهم الميكافيليون ، زد على هذا من يستغل الوسائل الديمقراطية كالبرلمان ليسعى كنائب لمصالحه الشخصية ، أو من يستغل منصبه كوزير أو مدير فيجعل الروتين أو البيروقراطية مذهبا فى العمل ويعرقل مصالح الشعب . إن الصفات السلبية والنماذج السلبية هموم داخلية تثقل كاهل الوطن وتصيبه بالأمراض الاجتماعية . ولقد اهتم الشاعر الإيرانى حالت والشاعر المصرى جاهين برصد نمط سلوكى اشترك فيه مجتمعهما وهو الإسراف خاصة فى شهر رمضان ، وبرغم أن الصوم عباده تعلم المسلم الصبر على احتياجاته الغذائية وترسخ فيه صفة الرضا بالقليل ، إلا أن المجتمع الإيرانى والمجتمع المصرى قد اتجها فى سلوكهما إلى الإسراف فى هذا الشهر الكريم . يقول حالت فى شعره :

قاصد طاعت وايمان وامان آمده است	رمضان آمده است
يار ديرين ز سفر با چمدان آمده است	رمضان آمده است
سرش باميه باخواهر خود زولبيا	گفت برخيز وبيا
نحو استگار توفلان سورچران آمده است	رمضان آمده است
سورى فربه وپرخور چه شنيده است كه باز	مى خورد نان وپياز
حرفى از سوركمانم به ميان آمده است	رمضان آمده است

آن كه از روزه گرفتن شده باريك چو دوك   تن اوبود چوخوك

پيش از اين بوده چنين ، آن كه چنان آمده است   رمضان آمده است

گرمى وتشنگى وگرسنگى بازد وبند   متفق گرديدند

دل از اين متفقين در خفقان آمده است   رمضان آمده است (١٨)

وترجمة الأبيات :

- رسول الطاعة والإيمان والأمان جاء ، فقد جاء رمضان

- حبيب قدم من السفر مع حقيبته جاء ، فقد جاء رمضان

- من أول الليل الباميه مع أختها الزلابية ، قالا قم وتعال

- مطالبون بالوصل معك يا فلان لان الطماعون جاءوا ، وما أكثر ما أكلوا خبز وبصل

- وخطر على البال كلمة عن وليمة ، فقد جاء رمضان

- و(أخينا) الذى كان صائما صار رفيع مثل العود الممصوص ، وجسته كان مثل الضفدعة .

- والحر والعطش والجوع تأمروا ، وأيضا اتفقوا

- والقلب من اتفاقهم دق ، فقد جاء رمضان

ويشير جاهين إلى طقوس الإسراف التى تقام قبل حلوله وذلك فى شعر تحت عنوان (يا وحوى) والكلمة نداء يردده الأطفال فى الشوارع وهم يحملـون الفوانيس للتعبير عن اقتراب شهر رمضان ، يقول

من قبلى رمضان بجمعه الهرس دار فى الدار

شالوا الموبيليا وحطو العفش بالمندار

بالمكنسه دور وبالفرشة سبع تدوار

صبح البلاط زى خد المزمزيل ناعم

والشقه بصت لهيلتون نفسه باستحقار

جابو قمر دين وتين وزبيب وصنيبر

ومكسرات فى شكارات مقفولة بالميبر

فاضل فى شعبان تلات أيام يا شحيبر

راح تلملم إيه فى رمضان ، ابقوا تعالولنا

والكل بات فى حسابات تلخم يهود خيبر

السمن نازل يرف .. وكانوا جايبين كوم

والبيت معبأ بريحة قلى طول اليوم

فيشاوى بالليل ومن بدء النهار النوم

ولا شغله ولا مشغله غير بس يا وحوى

والكل فاطرين يا عيني و لم لهم فى الصوم (١٩)

ولا تقتصر الهموم على الإسراف ، فهناك هموم أخرى لمعانى جميلة اندثـــرت من حياة المجتمع مثل الخجل أو الحياء والعفة والصفاء والسلام ، وحلـــت صفات أخرى فى المجتمع مثل اللؤم والحسد والبخل ، يتباكي حالت علـــى الصفات الحميدة التى ضاعت فى المجتمع ، ويطلب من الله الرحمة لها يقول فى قصيدته (خدا همه رفتگان را بيامرزد = يرحم الله الراحلين) :

گشود لب به دعا مرد خيرخواهي وگفت :

كه رفتگان شما را خدا بيامرزد

به خنده گفت ظريفى كه پس بدين ترتيب

رفاه وصلح وصفا را خدا بيا مزرد

اگر كه مغفرت از هر رفتگان خواهى

بگو كه مهر ووفا را خدا بيا مرزد

عطا وعدل وأمان رفته اند ازاين دنيا

امان وعدل وعطا را خدا بيامرزد

دگرنه شرم وعفاف است در ميان نه حيا

عفاف وشرم وحيا را خدا بيا مرزد

لئامت وحسد وبخل زنده اند هنوز

وليك جود وسخا را خدا بيامرزد

صلاح وخير ومروت رفيق ما بودند

تمام آن رفتنا را خدا بيا مرزد . (٢٠)

وترجمة الأبيات :

– احد الأخيار فتح فمه ودعا وقال : الله يرحم الراحلين

– رد علية واحد ظريف وقال : الله يرحم الرفاهية والسلام والنقاء

– ولو تريد المغفرة للراحلين ، فقل الله يرحم الأصالة والوفاء .

– ان العطاء والعدل والأمان ، قد رحلوا عن الدنيا ، الله يرحم الأمان والعدل والعطاء

– وأيضا ليس بيننا خجل أو عفاف أو حياء ، الله يرحم العفاف والخجل والحياء .

– أما ما يعيش بيننا الأن فهو اللؤم والحسد والبخل ، لكن الله يرحم الكرم والسخاء .

– وكان الصلاح والخير والمروءة فى ركابنا ، ولكن الأن الله يرحم الجميع .

إن وجدان الشاعر هو المرآة الأولى التى تنعكس فيها القيم السلبية فى المجتمع ، وهى ولا شك تصيبة بالحسرة ، خاصة وأن البعض يُجمّل هذه الصفات الشريرة ويطلق عليها مسميات جديدة ، فيطلقون مسمى الإتيكيت على النفاق ، ويسمون الرشوة ؛ هبة .. وهكذا وتزداد حسرة حالت حينما يرى موضة تسرى بين بعض شباب

إيران وهى القعود عن العمل فيرصدها فى شعرة تحت عنوان (بيكارى مُد است = موضة البطالة) يقول :

اندرين كشور به جاى كار بيكارى مُد است
جاى عيش وكامرانى ، گريه وزارى مُد است
لايق عضو ادارى نيست لفظ (كارمند)
ز آنكه پيش او به جاى كار بيكارى مُد است
راستى بايد كه اين عدليّه را ظلميّه خواند
ز آنكه در عدليّه فعلا مردم آزارى مُد است
گرچه آدم لخت كردن كار حمامى بُود
بيشتر در بين كاسب هاى بازارى مُد است
الغرض گفتار بد ، كردار بد ، پندار بد
آنچنان اين جا بود رايج كه پندارى مُد است (٢١)

وترجمة الأبيات :

- فى البلد البطالة موضة ، بديلا عن العمل ، والبكاء والنواح موضة بدل السرور والفرح .

- صحيح يجب أن نطلق على هذا العدل ظلم ؛ لانه فى العدل يكون إيذاء الناس فعلاً موضة .

- فاذا كان الإنسان عريانا جعلوه فى الحمام يعمل، فالغالب هذه الأيام أن السوقية هم الرابحون.

- وحينما يكون الهدف هو مقال سئ وفعل سىء وفكر سىء ، فإذا حدث هذا ، (يروج بين الناس) موضة التفكير .

لا شك فى أن انهيار القيم الأخلاقية والقيم الدينية خاصة عند الشباب ، لهو أمر شائك جداً ، لأن الوطن فى أى مكان يعتمد على الشباب فى مستقبله ، فإذا انهارت قيم الشباب إنهار معها الوطن ، والأوطان صاحبة الحضارات يجب أن تتلمس قيم الشباب الأخلاقية والدينية لتعلو بحضاراتها .

* * * * *

قد تكون الصفات السلبية أمر عام يشترك فيه حفنة من أبناء الوطن فتثقله بالهموم ، ولكن - للأسف - هناك أيضاً نماذج سلبية من أبناء الوطن ، قد يحتل البعض منهم مناصب فى الدولة ، وفى الإدارات الحكومية ، أو قد يكونون من أهل التجارة أو الصناعة ، هذه النماذج تعمل على استغلال الوطن من أجل مصالحهم الشخصية غير ملتفتين إلى الضرر الذى يوقعونه بالوطن ، ولنضرب الأمثلة كما تناولها حالت وجاهين لنوضح المقصود .

قد يعانى الوطن فى وقت الحروب من نقص فى الموارد الغذائية أو فى احتياجات الشعب المختلفة ، وبدلاً من أن تظهر سمة التكافل الاجتماعى بين الناس نجد بعض النماذج السلبية التى تستغل احتياجات الناس فتحتكر البضائع من أجل رفع

أسعارها ، يصور أبو القاسم حالت هذا الأمر فى قصيدته (محتكرها = المحتكرون) والتى نظمها أثناء الحرب العالمية الثانية ، فيقول :

به خلوتگاه عيش محتكرها — بساط عشرتى گرديده برپا
زچاى وشربت وشيرينى ونقل — بسى گرديده در محفل مهيا
چو سازد شور شادى كُله را گرم — سخن رانند از اوضاع دنيا
كه باشد بى شك اندر موقع جنگ — زيان باديگران وسود باما
به دست ما نه تيرست ونه توپست — كه تاجنگيم بادشمن به صحرا
نه در روى هوا طياره داريم — نه تحت البحرى اندر زير دريا
وليكن احتكار امروز با شد — براى ما به از شمشيربُرا

* * * * *

زا آنرو پيشه ى ما احتكار ست — كه شد زين كار پنهان پول پيدا
از اين ره پول چل ميليون تهى دست — رود در كيسه ى پنجاه دارا
صداى ليره در گوش دل ماست — نشاط آورتر از جنگ نكيسا
به اسم رحم وانصاف از زر وسيم — چرا پيچيم سر ؟ حاشا وكلا (٢٢)

وترجمة الأبيات :

– حياة أهل الإحتكار فى الخلوه ، السرور فيها على قدم وساق .

– من شاى وشربات وحلويات ومكسرات ، وغيرهم كثير معد فى الحفل وباق .

- ولما (الجمجمة) سخنت من شدة السرور ، دار الكلام عن الدنيا وأحوالها .

- و(قالوا) انه مؤكد وبدون شك فى وقت الحرب ، الضرر للغير والخير لنا .

- و نحن أيدينا فارغة ، لا سهم ولا مدفع ، لاجل نحارب العدو فى الصحراء .

- ولا عندنا طائرة فى الهوا طايرة ، ولا غواصه فى أعماق البحر تحت المياه .

- واليوم سياسة الاحتكار لنا ، أفضل من السيف وأمضى .

- ولان مهنتنا هى الاحتكار ، فإن العمل فى السوق السوداء يظهر الأموال .

- وبهذه الطريقة حينما يخرج من أيدينا أربعة ميليون ، ترجع لكيسنا خمسة .

- وصوت الليرة فى أذاننا وعلى قلبنا ، يسعد أكثر من صوت الصاجات .

- والذهب والفضة هما الرحمة والإنصاف ، فلماذا نخفى أمرنا ؟ حاشا وكلا .

وإذا ما كان المحتكر أو تجار السوق السوداء كما يسمون فى مصر يستغلون حاجة المواطن ، فهناك نموذج آخر سلبي يستغل قلوب المواطنين الطيبة وهو نموذج للمتسول الذى يدعى الفقر والحاجة وهو فى حقيقة أمره نموذج طماع ، كاره للعمل ، يفضل سؤال الناس على العمل . وهذا النموذج يشوه وجه الوطن ويوسمه بإهمال رعاياه ، وإن كان المتسول يطلب المال من المواطنين فهناك أنواع أخرى من المتسولين ، كمن يطلب المال من أجل المخدرات ، أو من يقترض من البنوك ثم يهرب بالأموال خارج الوطن يشرح أبو القاسم حالت أنواع المتسولين فى قصيدته (أنواع گدائى = أنواع التسول) ، فيقول :

آن گدا كز فقر پول ونان گدائى مى كند

گشت رسوا چون از این وآن گدائی می کند

نیست تنها آن گدا کو شرمگین وروسیاه

بر در هر خانه ودکان گدائی می کند

عده ای معنا گدا هستند ، زیرا روز وشب

هریك از آنان به یك عنوان گدائی می کند

این به عذر آن که الان بی کوکائین مانده است

از رفیق خویش ده تومان گدائی می کند

هی به نام روزنامه آدمی پر فیس وباد

در وزرتخانه ها اعلان گدائی می کند

تا که اندر انتخاباتی رسد آخر به کام

رأی از مفلس فلان اعیان گدائی می کند

هی به اسم وام پول از بانك های مملکت

آن که ملاك است وبازرگان گدائی می کند

زین گداها هیچ دانی کیست کارش خوبتر ؟

آن که بوس از چهره ی جانان گدائی می کند (٢٣)

وترجمة الأبيات :

- نوع التسول الذى يكون عن طريق تسول المال ولقمة العيش، يصبح فضيحة حينما يتسول من هذا وذاك.

- و ليس التسول فقط الذى يجلب الكسوف وسواد الوجه ، إذا ما تسول من كل باب بيت ودكان .

- هناك صور كثيرة للتسول ، وليلا ونهار ا يتسول كل واحد منهم بشكل .

- واحد يقولى : لم يبق معه كوكايين الآن ، فيتسول من صاحبه عشرة تومان .

- وواحد باسم الصحافة متكبر جدا ومنفوخ ، واعلانه على أبواب الوزارات يتسول .

- و فى النهاية حينما يصل بالانتخابات لمرامه ، ياخد برأى المفلس فلان ويتسول من الأعيان .

- وواحد باسم قرض مالى من بنوك المملكه ، يصبح من الملاك ويتسول من التجار .

- ومن بين المتسولين هؤلاء لا تدرى أيهم شغله أحسن ؟ غير الذى يتسول بوسه من وجه المحبوب .

أما النموذج الثالث الذى نعرضه ، فقد تناوله كل من الشاعر المصرى صلاح جاهين والشاعر الإيرانى أبو القاسم حالت بأسلوب مختلف عن الآخر وإن كان هدفهما من شعرهما واحد ، وهو نموذج الرقيب السياسى أو جواسيس السلطة أو كما كان يسمى فى مصر فى العهد الملكى ، البوليس السياسى ، وهذا النموذج يظهر دائما فى عهد استبداد السلطة لذلك يسعى إلى تكميم الأفواه ، وقد سعى الشاعر صلاح جاهين لمجابهة هذا النموذج بدعوة الناس للثورة فى قصيدته (إتكلموا

) ، فالصمت يزيد من سطوة الاستبداد والشاعر دائما سلاحه الأول هو الكلمـة ، يقول :

اتكلموا . . اتكلموا . . اتكلموا

محلا الكلام ، ما ألزمه وما أعظمه

فى البدء كانت كلمة الرب الإله ،

خلقت حياة ، والخلق منها اتعلموا

فاتكلموا

لكم السلام ، يا ملفوفين حول اللهيب

يا غواصين فى القلب ع الكلمة العجب

فى البدء كانت كلمة الرحمن سبب

وما عاد ش غير الحق كلمة تتممه

فاتكلموا (٢٤)

إن الثورة تبدأ بتعبير الشعب عن آلامه ، ولكن ما الذى يستطيعه الشاعر والسـلطة الاستبدادية تكمم الأفواه ، لقد عاش حالت فترة الصراع بين الشاه محمـد رضـا بهلوى وعبر بنفسه عن ذلك فى مقدمة ديوانه (أبو العينك) ، كما تحدثت المصادر التاريخية بهذا الأمر ، لذلك كان تعبيره عن تكميم الأفواه وقهر الشعوب بأسـلوب ساخر وليس مباشر كما فعل صلاح جاهين ، يقول تحت عنوان (آزادى بيـان = بيان الحرية) ، هذه الأبيات :

ز آنچه گفتار سیاسی است دهن باید بست

نه از آن ونه ازین ونه ازو باید گفت

چون نباید سخن از جنگ دو کشور گفتن

سخن از قصة ی جنگ زن وشو باید گفت

حرف خوانخواری خونخواری نمی باید زد

حرف پر خوردن مرد شکمو باید گفت

صحبت ظالم ومظلوم نمودن جرم است

سخن از رابطه ی سنگ وسبو باید گفت

از رقیبانه سیاسی نتوان گفت سخن

سخنی از جنگ ونزاع دو هوو باید گفت

هر چه میل تو بخواهد ، نتوانی گفتن

هر چه ارباب تو گفته است بگو باید گفت (٢٥)

وترجمة الأبيات :

– عن الكلام فى السياسة ، الفم يجب غلقة ، فلا تتكلم عن هذا أو ذاك أو عنه .

– وحينما يكون الكلام عن دولتين فى حرب ، عيبا ، يصبح الكلام عن معارك الزوجين واجب .

- والكلام الدموى عن مصاصى الدماء لا يجب قولة ، لكن الكلام عن رجل مبطون ومفجوع واجب

- ويبدو أن الكلام عن الظالم والمظلوم جريمة ، والكلام عن علاقة الموازين والإبريق واجب .

- والبوليس السياسى لا يمكن تقدر تتكلم عنه ، لكن الكلام مباح عن معركة بين كلبين ينبحا .

- والذى يوافق مزاجك لا تقدر أن تتكلم عنه ، لكن الذى يأمر به أسيادك مباح وتقدر أن تقوله .

إن الساعين بالإفساد من أبناء الوطن هم جرح دامى فى جسد الوطن ، وكذلك من ينصت من أبناء الوطن لأعداء الوطن ، لقد عانت مصر ممن يوقعون الفتنه بين أبناء الوطن بتعصبهم الدينى ، وسعيهم للتفرقة بين المسلم والمسيحى من أبناء مصر وقد ساعدهم على ذلك الأبواق الاستعمارية التى تبث الشائعات السامة بين أبناء مصر . وقد تناول الشاعر صلاح جاهين هذه القضية بصورة واقعية وليست دفاعية فصوّر المسلم والمسيحى فى مصر فى وحدة وطنية شهدها منهم مصر فى أوقات محنتها ، يقول جاهين فى قصيدته (على الربابة) :

عرب مسلمين ونصارى بيلفهم علم

كما التفت الهلالات بالعلبان

عرب مسلمين ونصارى ناوين على الردى

شجاعة قلوهم من رضا الرحمن

عرب مسلمين ونصارى وحده ما تنقسم

ولو تنقسم شمس النهار نصفان

ويؤكد جاهين على الوحدة الوطنية فى قصيدته (الموتى) التى يصور فيها ما هو واقع فعلياً فى صفحات نعى الأموات فى الصحف اليومية ، يقول :

فى صفحة الموتى

بيكلمونى فى كل يوم الصبح

بصورهم الباهتة

بعيونهم الثابتة

بيسألونى كلهم امتى

ح تنطبع صورتك كمان

انت

هنا زينا فى صفحة الموتى

* * * *

فى صفحة الموتى

قلت الشبه من أين يتأتى ؟

قالوا عشان الكل مصريين

الكل مصريين

الكل نفس الهوية

نعى المطارنه جنب نعى الشيوخ

طالبين سوا الرحمة الإلهيه

طالعين سوا أمجاد سماوية

فى وحدة أبدية

ما تعرف الطايفة المسيحية

م الإسلامية . .

تشهد صورهم جنب بعضهم

فى الأعمدة السودة البكائية

بإن دى . . هيا ديا (٢٦)

إن أخلاقيات الإسلام تنفر من التعصب العرقى أو التعصب اللونى أو التعصب الدينى ، والمجتمع الإيرانى والمصرى مجتمعان إسلاميان لذلك يستهدفهما الغرب الحاقد بسياسة(فرق تسد) وللأسف تنساق بعض النماذج المريضة من أبناء الوطن نحو هذه السياسة .

ومن آفات الغرب أيضا (السياسة الميكافيليه) والتى تقول بأن الغاية تبرر الوسيلة ، وقد انتقلت هذه السياسة السامة إلى المجتمع الإيرانى فظهرت نماذج من أبناء الوطن ممن يعملون بهذه السياسة ، ورصدهم الشاعر حالت فى قصيده (پيروان ماكياول = اتباع ميكافيلى) ، فيقول :

بازبان چرب ونرم اندر مقام سروری

از برای مردمی از دانش بینیش بری

جسته اند از فوت وفن ما ست مالی یاوری

عجز خود را کرده اند انکار با هوچی گری

هر کجا در مانده از حل مسائل بوده اند

جملگی از پیروان ماکیاول بوده اند

جیب خودرا را بسته وکیف کسان را کرده باز

با قوا نینی به ظاهر سود مند وچاره ساز

دست غارت کرده سوی کیسهٔ مردم دراز

ظاهرا همرنگ مردان کریم وبی نیاز

باطنا همسنگ ، بایک مشت سائل بوده اند

جملگی از پیروان ماکیاول بوده اند

چون هراسان بوده اند از قهر خلق آن ابلهان

تاکسی برضد آنان برنخیزد ناگهان

هر کجا محفل بپا گشته است ، ازکار آگهان

کرده اند اعزام جاسوسی بدانجا در نهان

زین طریق آگاه از اسرار محفل بوده اند

جملگى از پيروان ماكياول بوده اند (٢٧)

وترجمة الأبيات تقول :

- لسانهم حلو وناعم عند السادة الرؤساء

- أما عند الشعب فلا لهم دراية ولا رأى

- وحينما أدركوا انهم لن يجدوا لمهارتنا مثيل

- خيبتهم جعلتهم يمصمصوا شفاههم إنكارا

- وفى كل مكان كانوا عاجزين عن حل مشاكلهم

- لانهم كلهم كانوا من أتباع ميكافيلى

- والذى جيبه مقفل ، وحقائب الناس له مفتوحة

- يصبح خبير مع القوانين وواسع الحيلة

- ويده الطويلة على أكياس فلوس الناس تنهب

- وفى العلن ، هو مثل الناس كريم ومتيسر

- وفى الخفا هم من نفس الطينة ، ايديهم ممدودة بالسؤال

- لانهم كلهم كانوا من أتباع ميكافيلى

- ولآن الأغنياء كانوا فى رعب من قهر الشعب

- وخوفهم كان من ثائر يثور ضدهم فجأة

- كانوا يقيمون فى كل مكان حفلة ويرتبها المختصون

- وكل قصدهم إرسال جاسوس فى الخفاء لهناك

- وبهذه الطريقة يعرفون أسرار الحفلة

- لانهم كلهم كانوا من أتباع ميكافيلى

إن مجتمعاتنا الإسلامية تعانى من وجود المنافقين واللصوص والجواسيس ، وهم نماذج تزيد من هموم الوطن ، ولكن العلاج يبدأ دائما بوضع أيدينا على مكان الداء ، ثم نسعى إلى العلاج من خلال قيمنا الإسلامية .وتشخيصا للداء يعرض الشاعر حالت والشاعر جاهين نموذج المحتال أو النصاب ، إضافة للنماذج التى استعرضناها سابقا ، ويسخر حالت من هذا النموذج فيطلق علية (نابغهٔ روزگار = نابغة العصر) ويقول عنه :

گوش بری ست شیوه ام ، حیله گری بود رهم

به هر کسی که می رسم ، سرش کلاه می نهم

حرف دروغ می زنم ، وعده ی پوچ می دهم

نبوغ من درین بود ، که حرف بی سروتهم

گردن یك گروه را ء کشانده زیر یوغ من

نابغه ی زمانه ام ، بیا ببین نبوغ من

وترجمة الأبيات :

- الفهلوه أسلوبى ، وطريقى هو الإحتيال

- وكل واحد أصل إليه ، ألبسه العمة

- وكلامى كله كذب فى كذب ، ووعودى باطلة

- عبقريتى فى هذه الأساليب ، لان كلامى كله فارغ

- ورقاب الجماعه مربوطه فى وتدى

- لانى نابغة زمانى ، تعالى وشاهد نبوغى

إن شخصية (الفهلوى) فى المجتمع المصرى تشبه إلى حد بعيد الشخصية التى رسمها الشاعر حالت عن نابغة عصره ، وقد تناول الشاعر جاهين هذه الشخصية أيضا ولكن كان بطلها مساعد المحامى أو كما يسمى (الوكيل) يقول جاهين :

وهية ، فى المحاكم *** شدت واحد وكيل

عند البوفيه كان واقف *** بيشرب جنزبيل

تشرح له وهى تبكى *** وتبلل مناديل

وتقول له : كتير عليا *** يقول لها : قليل

اتنين ريال يا ولية *** مبلغ تافه ضئيل

خدى بالك م الفصاحة *** ومن العلم الأصيل

والإشى لما يحصل *** مفعول الجنزبيل

عنها ودخل ع القاضى *** دخلة أبو زيد تقيل

خبط الترابيزه وقال *** أنا طالب التأجيل

وهناك نموذج سلبي آخر لا يهتم بأمور وطنه ، ويرفع شعار (أنا مالى) ، وهو مايضعه الشاعر حالت عنوانا لقصيدته (به من چه مربوط است = وأنا مالى) .
إن من يؤمن بمبدأ (الأنا مالية) لا يعبأ بهموم الوطن أو مشاكله ، ولا يؤمن بمؤازرة الفقراء أو محاربة الفساد ، ويرفع شعار نفسى . . نفسى ثم من بعدى الطوفان ، يصفه حالت فى شعرة بقولة :

نگهدارى ايران به من چه مربوط است ؟

امور كشور ساسان به من چه مربوط است

قلمرو من از ايران به غير تهران نيست

ملاير وقم وكاشان به من چه مربوط است

براى بنده همين نام كدخدا كافى است

امور اين ده ويران به من چه مربوط است

به كار دانى اسلاف خويش معترفم

ولى لياقت ايشان به من چه مربوط است

زمن گرفتن مازاد گندم آيد بس

گرسنه ماندن دهقان به من چه مربوط است

از اين الاغ مرا قصد جز سوارى نيست

تهيه جل وپالان به من چه مربوط است

كباب بره بده ، ران گوسفد بيار

حديثه گله وچوپان به من چه مربوط است (٢٩)

وترجمة الأبيات :

- وأنا مالى بحماية إيران ، وأيضا أمور بلاد الساسان وأنا مالى بها .

- وكل حدودى من إيران ، طهران فقط ، ومدن الملاير وقم وكاشان وأنا مالى بها .

- وعندى يكفينى لقب العمدة ؛ لكن أمور بلد خربة، وأنا مالى بها .

- وخبرة أسلافى معترف بها ؛ لكن جدارتهم وأنا مالى بها .

- جاء وأخذ منى مزاد القمح فقط ؛ (ولهذا) سيبقى الفلاح جوعان ؛ حقا ،ولكن وأنا مالى .

- وهذا البغل لاأريد منه غير أن أركبه ؛ لكن تحضير البردعة واللجام وانا مالى به .

- خذ نيفة مشوية وهات فخد ضانى ؛ لكن كلام عن القطيع والراعى وأنا مالى به .

والنموذج التالى من النماذج السلبية هو نموذج الموظف الذى يعيق حركة العمل أو البيروقراطى الذى يعتمد الروتين فى ادارته لمصالح الشعب . والبيروقراطية مرض اجتماعى لأنها تنظر الى طموحات الوطن للتنمية بنظرة سطحية ؛ فخطط المشروعات الكبرى عند البيروقراطى مجرد أوراق تحفظ فى الأدراج ؛ يصفه الشاعر صلاح جاهين فى قصيدته (السيد عبد العاطى البيروقراطى) ؛ بقوله :

بيجى المكتب بدرى فى مواعيد ظباطى

والساعة اتنين ولا ورقة تكون فى ايديه

فنان فى الشغل ؛ وفنه أرستقراطى

الفن فقط للفن ؛ بتضحكوا ليه ؟

لا تقوللى مصالح شعب ولا كلام واطى

الهدف السامى علاوة تلاتة جنيه

* * * *

والسيد عبد العاطى البيروقراطى

(السد العالى) فى نظره اسمه دوسيه (٣٠)

أما الشاعر أبو القاسم حالت فيعرض عدة صور لهذا البيروقراطى فقد يكون مديرا أو رئيسا أو وزيرا ؛ وفى الجملة فقد عانى المجتمع المصرى والمجتمع الأيرانى من هذا النموذج السلبى من أبناء الوطن ؛ يقول حالت فى قصيدته (خدايارحم كن = الرحمة ياالهى)

مديرا ؛ ندانم زكارى ادارى

چه فهميدة اى غير ساعت شمارى ؟

رئيسا ؛ به هر بزم شب صبح كردن

ترا داده تعليم شب زنده دارى

وكيلا ؛ اگر گريه ى ما نباشد

که باغ ترا می کند آبیاری ؟

وزیرا ؛ تو درد ورم کیسة گیری

چنین گرکنی روزو شب رشوة خواری

ضعیفا ؛ قوی شوکة در زند گانی

قوی از لباس اسیری است عاری

* * * * *

خدایا ؛ به ما بند گان رحمت أور

که هستیم فی الجملة در بند خواری (٣١)

وترجمة الأبيات :

– ايها المدير ؛ لا أدرى ماذا تعرف عن العمل الإدارى ؛ غير ساعات الحضور والانصراف .

– أيها الرئيس ؛ فى كل حفلة ليلاتى حتى الصباح ؛ (ياترى) علموك الحياة فى الليل .

– أيها النائب ؛ اذا لم تبكينا حديقتك فمن أين ستأتى بمياه الرى .

– أيها الوزير ؛ مريض بحشو الأكياس (بالمال) حتى تتورم ؛ هذه هى أحوالك ليلا ونهارا بسبب أخذ الرشوة (من الناس) .

– أيها الضعيف ؛ كن قويا ؛ فقانون الحياة أن القوى فى ثياب أسير ؛ يبقى عارى

- يا الهى نحن عبيدك ؛ وكلنا فى النهاية مقيدين بالذل .

لقد شخص حالت عددا من الأمراض الاجتماعية فى شعره فبالإضافة إلى نمـــوذج المدير البيروقراطى ؛ تناول نموذج رئيس العمل الفاسد والنائب المستغل والوزيـــر الذى يستحل الرشوة . وهو لم يتوقف عند هذه النماذج فقط ولكنه تناول النواب الفاسدين والتجار الفاسدين فى قصائد أخرى مثل قصيدته (چشمد اشت بيجـا = ترقب فى غير مكانه أو ترقب السراب)ورصد فى هذه القصيدة كثـــيرين ممـــن يريدون الاضرار بالوطن ؛ يقول فى قصيدته :

آه از رسم وكيلان كه چه نا مطلوب است

أين به دنبال فساد ان زپى آشوب است

تاجرانى كه به بازار بهارستانند

مى روند از پى آن جنس كه نا مرغوب است

هر كة بادشمن أفراد وطن درست شود

گرچه مغضوب بود ؛ دربرشان محبوب است

گرزند بدكنشى بر ضرر جامعة حرف

با تمام بدى أندر بر آنان خوب است

چند بينيم از اينان ستم وصبر كنيم

طينت ما مگر ازآب وگل أيوب است

گر دهد شاخ غرض ورزى اينان ثمرى

نمرش نكبت أين مملكت منكوب است

هركة از أين وكلا چشم گشايش دارد

زو بتر سيد كه مغزش بعلى معيوب است (٣٢)

وترجمة الأبيات :

– آه من فساد النواب ؛ برغم أنه امر ليس مطلوبا ؛ احدهم يجرى وراء الفساد والثانى وراء العراك .

– والتجار الذين كانوا ربيع السوق ؛ يلهثون وراء البضاعة الفاسده (البضاعة المضروبة)

– وكل من يعادى أفراد الوطن ؛ يحبوه ؛ حتى لو كان مغضوب عليه ؛ هو عندهم محبوب .

– واذا نطق شرير وأساء للمجتمع ؛ فمع كل شره هو عندهم طيب .

– كثيرا ما رآينا منهم ظلم وصبرنا ؛ لآن طينتنا من طينة أيوب .

– واذا ما أثمرت أغراضهم ؛ ستكون أغراضهم نكبة لهذه المملكة المنكوبة .

– وكل ما ترنوا إليه عيون هؤلاء النواب ؛خاف منه ؛ فكل هدفهم القول إن العيب فى على، (أويعيبون على الورد أنه أحمر الخدين) .

أما آخر النماذج السلبية من أبناء الوطن فيعرضه الشاعر صلاح جاهين ؛ وهو نموذج قد نراه فى كثير من المجتمعات الشرقية ؛ وأعنى به (مدعى الثقافة) أو من يدعى المعرفة ويدعى معها قدرته على حل كل المشاكل ؛ ومثل هذا النموذج يجب

تسليط الأضواء عليه ؛ لذلك صوره جاهين فى فن المثنوى بعنوان (حديث تلفزيونى) ؛ نموذج مغرور بنفسه برغم تفاهة حلوله ؛يقول جاهين :

سيداتى ؛ آنساتى ؛ سادتى

ده حديث عن مشكلات الوحدتى

ياما قالوا فى السياسة وكرروا

ياما ناس فى الوحدة باتوا يفكروا

كلهم قالوا كلام جدا غلط

ومحدش صح غير أنا فقط

أنا عندى فكرة ؛ لكن مدهشة

وكبيرة ؛ ولذيذة ؛ ومنعشة

الطريقة يا شعوب يا عربية

أنكم ما تلبسوش الجلابية

لما كله يبقى لابس بنطلون

تبقى وحدة من هناك لحد هون

أن ما استعرضناه من نماذج سلبية من داخل المجتمعين الإيرانى والمصرى ؛ هى نماذج قابلة للإصلاح خاصة إذا ما تصدى أهل الفكر والأدب وأهل الدين لاصلاحهم . ولقد قام أهل الأدب متمثلين فى الشاعرين حالت وجاهين بدورهما في تحديد الـداء

؛ والكشف عن العلل التى تثقل كاهل الوطن بالهموم ؛ وبقى على أهل الإصـلاح القيام بدورهم من أجل وطن قوى متماسك وحضارى . وقد كانت الانتخابـات الحرة أحد أساليب الإصلاح الاجتماعى ؛ فحينما يختار الشعب حاكمه أو يختـار نوابه فى المجالس التشريعية فهو بذلك يعبر عن إرادة حرة فيمن يحكمه ؛ ورغبة من الشاعر المصرى جاهين فى زيادة وعى الشعب الانتخابى يخاطبه فى شـعره تحت عنوان (أمانة ياللى) ؛ بقوله :

أمانة ياللى على باب الانتخاب داخل

من قبل مسك القلم ؛ والخط تتماهل

اسأل ولادك ؛ فى سرك ؛ بكرة عاوزين إيه ؟

الحكم يظهر ؛ وتلقى الحل بالساهل

عاوزين أمان يابا ، عاوزين لا شتراكية

مدخول كفاية ، وعدل على الجميع شامل

الأرض فى ايدينا يابا ، وعندنا الفواريق

عاوزين قلوب ثورية ، يدح وتناضل

* * * * *

اختار لنا يابا ، خلق تغير الدنيا

ولعندناش فرق بين الست والراجل

ولا حد يخدمنا ، جنب زعيمنا ، غير يابا

المثقف الثورى والفلاح والعامل

أدى اللى فيهم

إن زيادة الوعى الانتخابى تضمن لمجتمعاتنا نواب وحكام صالحين ، ولكن مع وجود هموم الأمية والتسرب من التعليم ، ومدعى الثقافة والعلم ، تتحول بعض نماذج المرشحين من نموذج صالح إلى نموذج طالح ، فنجد من المرشحين من يستغل الانتخابات ليخدع الناخبين بأقوال زائفة يصوره جاهين فى شعرة تحت عنوان (دعاية انتخابية) بقولة :

آلوه . . آلوه . . يا أمم

تعالالى لالى يامحترم

الحمد لله ، إنكم

مابتعرفونيش كلكم

لو كنتو عاوزين اسطوات

أنا أسطى سواق (الفيات)

وإن كنتو عاوزين فلاحين

أنا عندى حبة فدادين

وألا انتو عايزين ياترى

مرشحاية مغندرة

متپدره ، ومتحمره

إذا كان كده ، فأنا (. . . .) (٣٣)

إن الكلمة التي تتمم قافية جاهين والتي لم يستطع ذكرها هي كلمة (مَره) بمعنى سيده ، وهي كلمة إذا خوطب بها الرجل كانت إهانة ، وبرغم هذا فإن نموذج المرشح الذي ذكره جاهين في شعرة على استعداد لتحمل الإهانة حتى يفوز بمرامة من الانتخابات .

أما أحوال الانتخابات في المجتمع الإيراني فيصورها حالت في شعرة تحت عنوان (دلال انتخابات = دلال الانتخابات) :

احوال انتخابات هر دوره خوب وخوش بود

این دوره گشته ناخوش احوال انتخابات

از بهر ما که هرروز جنجال تازه ای هست

امروز گشته پیدا جنجال انتخابات

آن بیخبر که بی پول خواهد وکیل گردد

گویا خبر ندارد از حال انتخابات

دولت ز دست مجلس گر شد دچار اشکال

اشکال کار او بود اشکال انتخابات

در جاده ی وکالت آهسته پای بگذار

گودال سهمناکی است گودال انتخابات

بازار انتخابات دانی که را دهد سود ؟

آن را که گشته امروز دلال انتخابات . (٣٤)

وترجمة الأبيات :

- أحوال الانتخابات كانت فى كل دورة حلوة وجميلة ، لكن فى هذه الدورة أصبحت أحوال الانتخابات سيئه .

- لاجل خاطرنا (نحن الناخبين) تقوم فى كل يوم معركة جديدة وصراخ ،واليوم بدأت معركة الانتخابات .

-هذا الجاهل يريد أن يصبح نائبا من غير فلوس ، قالوا : لانه يجهل حال الانتخابات ،

- والدولة فى يد عضو المجلس مبتلية بأشكال ، لان أشكال أعماله كانت على أشكال الانتخابات

- على طريق العضوية سر ببطء ؛ فإن حفرتها مخيفة لأنها حفرة انتخابات .

- أتدرى ما فائدة سوق الانتخابات ؟ فائدته انه اصبح اليوم، دلال انتخابات .

* * * *

٣ - هموم الوطن مع العالم الخارجى :

لا تقتصر هموم الوطن على الهموم الداخلية ، إن أقدار أوطاننا الشرقية أن يطمع فيها الغرب ، وأن يقتسمها بين دوله العظمى ، والتاريخ يحدثنا عن احتلال بريطانيا

لإيران ومصر وعن ثورة الشعبين ضد هذا الاحتلال . ويعود فقر المجتمعات الشرقية غالبا لسبب رئيسى هو نهب المحتل لثروات أوطاننا الشرقية ورغبتـــه المســتمرة فى تعويق تنمية مجتمعاته . إن ما يطرح الان من أفكار عن صـــراع الحضـــارات أو حوارها لهو صراع غربى مع الحضارات الشرقية عامة والإسلامية خاصة ، فى حـين أن أصحاب الحضارات الشرقية لا يسعون على طول تاريخهم إلا من أجل الحـــوار والتلاقى تأثيرا وتأثرا .ولنستعرض من خلال شعر حالت وجاهين الهموم التى عـانى منها الوطن الإيرانى والوطن المصرى فى علاقته مع الغرب .

أولى هذه الهموم معاناة الشعبين من الاحتلال ، ورغبة القوى العظمى فى السـيطرة على إيران أو مصر ، وقد تناول الشاعر حالت هذه القضية بشكل عام فى قصيدتـه التى تحمل عنوان (پيام از شرق به غرب = رسالة من الشرق إلى الغرب) ويقـول فيها :

الا ، اى مردم خاك اروپا

كه داراى كمال اقتداريد

چرا زنجير استعمار چون مار

به گرد گردن ما مى فشاريد ؟

شما ، هر جاكه انبار است ، موشيد

شما ، در هر كجا گنج است ، ماريد

به ظاهر حامى مردم ، وليكن

به باطن جملگی مردم شکارید

به نام دستیاری ، یاکه یاری

بلای جان هریار ودیارید

اگر دید ید مردی پا برهنة است

به پای او ، به جا ی کفش ، خارید

وترجمة الأبيات تقول :

– ألا يا شعب الوطن الأوربى ؛ يا مُلّاك القوة الكاملة .

– لماذا تلفون حول رقابنا سلاسل الاستعمار مثل التعبان وبتضغطوا .

– وانتم ، فى كل مكان فيه غلال ، تصبحون فيرانا ، و (أيضا) انتم فى كل مكان فيه كنوز ، تصبحون ثعابين .

– وفى الظاهر انتم حماة الشعوب الأوربية ، ولكن فى الباطن كلكم صيادين للشعوب .

– وباسم مد يد المعونة أو المساعدة ، تصبحون بلاء لجميع الأصدقاء وكل الديار .

– ولو رأيتم فى يوم رجلاحافى القدمين ، تنثرون تحت أقدامه بدل الحذاء شوك .

وإن كان حالت قد تناول حديث الاستعمار والاحتلال بشكل عام مخاطبا فيه الشعوب الأوربية ، إلا أن جاهين قد اختلف معه فى التناول الشعرى ، فكان مباشرا وصريحا ومحددا للحل الذى يجب أن يقوم به الشعب فى مواجهة المحتل الإنجليزى ، يقول جاهين :

الأيام دى بيفوتوا ع الجسر إنجليز أنجاس

سايبين بلادهم وجايين يدبحوا فى الناس

ما يعرفوش السلام وما يعرفوش الناس

بيحرتوا بالسيوف وبيزرعوا فى الدم

صدق اللى قال مجرمين لم عندهم إحساس

* * * * *

لو كنت عايز تعيش فى سلام وحرية

لو كنت عايز تعيش للزرع والميه

لو كنت عايز تعيش وتربى ذرية

قوم طهر البر بالخنجر وبالمدفع

عن جنس دوده إنجليزى فى أرض مصرية . (٣٥)

وفى قصيدة أخرى يؤكد جاهين على المقاومة ضد المحتل ، فيقول :

يا أصدقاء آسف لكين محال

مّا ليش دوا غير طرد الاحتلال

إن معاناة مصر مع الدول الغربية بعد طرد الاحتلال الإنجليزى من أرضها لم تتوقف ، فقد ظلت رغبة الغرب فى فشل ثورة مصر قائمة ، وتكررت محاولات الدول العظمى فى الاعتداء على مصر خاصة وقد رأت زعيم ثورة مصر جمال عبد الناصر

يحارب من أجل بناء مصر الحديثة ، ويؤمم قناة السويس ، وتعرضت مصر للعدوان الثلاثى من ثلاث دول وهم إنجلترا وفرنسا وإسرائيل . وظلت سياسة دفع مصر إلى الدخول فى حروب مختلفة وسيلة الغرب ،وكانت ذنب الاستعمار إسرائيل هى واجهة الغرب فى الحرب مع مصر ، وقامت حرب يونية ١٩٦٧م مع إسرائيل وتعرضت بسببها مصر إلى نكسة حضارية احتلت معها جزء من الأرض المصرية هى سيناء . يخاطب صلاح جاهين سيناء بقولة فى قصيدة (أرض مصرية) :

سينه

نبض وسرى فيك يا دى الزلطه

وح يسرى دايما . . بس تشبع دم

شكلك كمثل القلب ع الخرطه

ان شاالله دايما يبقى خالى الهم

ياللى بكيت ياما

وحفرت وديان دمع فوق خدك

تملّس بخدك ع التراكيب الجلوجية

وانصبت بودنك تستمع ترانيم حماسية

ممزوجة من صوت صندل الفتيات

عبر السنين

مع ضباشات العسكريين لم أدوا الفرض

ويدقوا بالأقدام

ويطلع الصوت من صميم الأرض

من موضع الحمم الإلهيه

دى أرض مصرية . . .

دى أرض مصرية . . (٣٦)

ولا نستطيع مع ذكر الذنب الاستعمارى اسرائيل أن ننسى قضية فلسطين فهى الهمّ الأكبر الذى يضج مضجع الأمة الإسلامية كلها وليس إيران ومصر فقط . يتنـــاول أبو القاسم حالت قضية فلسطين فى شعرة فى معرض حديثة عن الاســـتعمار ودور أمريكا الاستعمارى ، فيقول تحت عنوان (اورا فقط محكوم كرد = هـــو فقـــط مغضوب عليه) :

گر كه اسرائيل حلقوم فلسطين را فشرد

جان او بر باد داد ومال اورا نيز خورد

دولتى گر خشمگين گرديد از آن دستبرد

بر سرش آيا چنان تخماق زد كز درد مُرد ؟

يا به جرم آن ستم در كام او زقوم كرد ؟

هيچ اقدامى نكرد اورا فقط محكوم كرد

وترجمة الأبيات :

- لو إن إسرائيل داست على حلق فلسطين وعصرته

- (طبعا) ستطلع روحها وتذهب سدى ، وكل ما كان لها أيضا سينهب .

- ولو الدولة (الفلسطينية) ثارت وغضبت من هذا الاعتداء .

- ياترى سوف تضرب راسها (بالشومة)؟ ومن اذى الضربة تموت ؟

- والا بذنب هذا الظلم سوف تبلع الزقوم ؟

- (طبعا) لا تقدر أن تقدم على شيء ، لأنها فقط مغصوبة عليه .

إن ارتباط مصر بالجرح الفلسطيني يعود إلى بداية القضية الفلسطينية فالحدود مشتركة والجرح قديم خاضت مصر من أجلة أربعة حروب هي حرب عام ١٩٤٨م ، وحرب ١٩٥٦م ، حرب ١٩٦٧م ، حرب ١٩٧٣م ، وفقدت في هذه الحروب آلاف من أبنائها كانوا الأب والابن والأخ والزوج ، لقد حفرت قضية فلسطين مجرى لهمّ ثقيل في الوجدان المصري ، عبر عنه شاعرنا صلاح جاهين في أكثر من قصيدة وموقف . يقول في قصيدته (لاجئ) :

راحت فلسطين وراحت

البيارات لما لاحت

على التلال المدافع

وريحة الحرب فاحت

وفي الصفوف الطويلة

جرجر عياله النحيلة

شيع جنازة الوطن

لحد لما اندفن

والقاتل الوغد ساقه

قدامه من غير كفن

ميت وقبرة الخلا

والغسل سيل الفلا

ويقول أيضا فى قصيدته (الله معك)

يا صابر الصبر الجميل الله معك

ما أروعك يا شعبنا وما أشجعك

جرحك فلسطين يوجعك تزداد وجود

وتحول الأحزان بارود فى مصنعك

الله معك .. الله .. الله معك

* * * * *

يا أرضنا المسجونة سجنك راح يزول

شعبك على الأبواب مسلح بالأمل

كلمة فلسطين زى دقات الطبول

بتدوى وتحمس وتدفع للعمل

راجعين بقوة السلاح

راجعين فى بحر من الدما

راجعين كما رجع الصباح

من بعد ليلة معتمة (٣٧)

ولا تذكر القضية الفلسطينية والذنب الاستعمارى إسرائيل إلا وتذكر معها تأييد القوى العظمى لذنبها ، خاصة التأييد الأمريكى لإسرائيل . ومنذ ظهور أمريكا على سطح الأحداث، حينما ألقت القنبلة الذرية على اليابان فى نهاية الحرب العالمية الثانية وهى تسعى للسيطرة على العالم والهيمنة على مصالحة وما زالت تقوم بهذا الدور وتطلق عليه مسمى (العولمة) .يتناول الشاعر حالت الدور الأمريكى فى العالم فى قصيدته (اورا فقط محكوم كرد = هو فقط مغصوب عليه) فيقول :

دست أمريكاى ظالم جان باناما گرفت

تاخت بر آن كشور و ، آخر در آن جا ، جاگرفت

دولتى گرخرده اى بر ظلم امريكا گرفت ؟

باچه ترتّب انتقام آن ستم ها را گرفت ؟

يا چه سان تكليف آن جبار را معلوم كرد ؟

هيج اقدامى نكرد او را فقط محكوم كرد

آن عمو سام خبيث زورگوى زر پرست

روز وشب موى دماغ اهل نيكاراگوئه است

گر فلان دولت مخالف بود با آن هرزه دست ،

خود چه با او كرد ؟ آيا دست اورا پاك بست ؟

يا ، به جرم ظلم ، او را زهر در حلقوم كرد ؟

هيچ اقدامى نكرد ، او را فقط محكوم كرد .

وترجمة الأبيات :

– اليد الأمريكية الظالمة ، استولت على روح بنما .

– هجمت على هذه الدولة ، وفى النهاية ، المكان ، احتلته .

– وإذا الدولة ثارت قليلا على ظلم أمريكا

– فبأى وسيلة انتقامها سوف يقضى على المظالم ؟

– او يعرف من الذى كلف هذا الجبار بالمهمة ؟

– (بالطبع) لن تقدر أن تقدم على شىء ، لانها فقط مغصوبه عليه

– العم سام هذا خبيث وكذاب ويموت فى الذهب

– وليلا نهارا محشورا فى أهل نيكاراجوا

– وإذا الدولة الفلانيه عارضته ، اشاره من يده فيها الكفاية

– هى ماذا فعلت معه ؟ وهل ترى سوف يكف يده عنها ؟

– أو بتهمة ظالمة ، سوف يحشر السم فى حلقها ؟

- (بالطبع) لا تقدر أن تقدم على شيء ، لانها فقط مغصوبه عليه

إن ما تقوم به أمريكا الآن من مظالم للشعوب خاصة الشعوب الإسلامية يشبه إلى حد بعيد ما تناوله الشاعر جاهين فى قصيدته التى تحمل عنوان (روزنبرج) والتى نظمها عام ١٩٥٣م ، أى منذ ما يقرب من خمسين عاما ، وهذه القصيدة ترسم شكل سياسة الأمريكية مع مواطن أمريكى يدعى (جوليوس روزنبرج) وزوجته وتدعى (ايثل) ، وكانت أمريكا قد اتهمتهما بالتجسس لصالح الاتحاد السوفيتى وبنقل أسرار إنتاج القنبلة الذرية ، وأصدرت عليهما حكما بالإعدام ، وقد تم تنفيذه عام ١٩٥٢م ، رغم احتجاج كثير من مثقفى العالم .

إن من يطالع قصيدة جاهين وهو يصف السياسة الأمريكية التى جعلت من نفسها القاضى والجلاد يكاد يشعر بأنه يستطيع بتغيير بسيط أن يرفع اسم روزنبرج ويضع مكانه اسم (بن لادن)إنه وجه أمريكا القبيح ، يقول صلاح جاهين :

فى الرواية الأمريكانيه . . . العصابة

تقتل اللى تخاف . . . ليفتن للنيابة

الزعيم يأمر بسنحبة جوه غابة

والرصاص يعمل عزومه للديابه

أصله كان يعرف حاجات فوق اللزوم

والقتيل عمره ما ينطق أو يقوم

والعصابة الأمركيه العالمية

مش بنسرق مية والا خمسمية

لأ . . دى بتقشط شعوب م الإنسانية

والسلاح ذرة وقنابل ميكروبية

واللى يفضح جرايمها يتقتل

زى روزنبرج ومراته إتل

الوليفه يقتلوها والوليف

لجل ما يموت السلام فوق الرصيف

السلام حلم الشعوب كلام مخيف

للى بيبيعوا السلاح قبل الرغيف

والقضاة فى الخدمة يا ايزنهور

كلهم فى إيدين فخامتكم كور

يحكموا حسب القانون ، وأنت القانون

اللى حاكم ع البلاد تصبح سجون

الدولار يملى المحافظ والبطون

والدموع تملى الحناجر والعيون

والسلوك بتوهجوا مرة فى مرة

لجل ما تموت نفس كانت عايشه حرة (٣٨)

إن ما استعرضناه من قضايا الوطن وهمومه يؤكد ولا شك على المقولة المشهورة التى قصرت الأحزان على أهل الشرق فقالت:(كلنا فى الهم ، شرق).

حواشي من هموم الوطن الإيراني والمصري

(١) حالت ، ديوان أبو العينك ، ص٧٢ .

(٢) نفسه ، ص٧٧ .

(٣) جاهين ، أشعار العامية للمصرية ، ص١١٤ .

(٤) جاهين ، ديوان موال عشان القنال ، ص٥٨ .

(٥) حالت ، ديوان أبو العينك ، ص١٢٠ ، ٣٤ .

(٦) انظر كمال مظهر محمد ، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص١٦٦ .

(٧) ديوان بجه ها برق آمده ، ص٢٠ ، ٢٤ .

(٨) نفسه ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٩) جاهين ، ديوان كلمة سلام ، ص١٥ ، ١٦ .

(١٠) ديوان أبو العينك ، ص٥١٢ .

(١١) صلاح جاهين ، أشعار العامية المصرية ، ص٨ ، ٩ .

(١٢) ديوان أبو العينك ، ص١٧ .

(١٣) ديوان قصاقيص ورق ، ص٢٨٧ .

(١٤) ديوان كلمة سلام ، ص١٠ .

(١٥)ديوان أبو العينيك ، ص٤٠٣ .

(١٦) نفسه ، ص٣٥ .

(١٧) ديوان بجه ها برق آمده ، ص٢٦ ، ٢٧ .

(١٨) ديوان أبو العينك ، ص٤٨ .

(١٩) ديوان قصاقيص ورق ، ص٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢٠) ديوان بجه ها برق آمده ، ص٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٢١) ديوان أبو العينك ، ص٣٥ .

(٢٢) ديوان أبو العينك ، ص١٤ .

(٢٣) نفسه ، ص١٤٥ .

(٢٤) ديوان قصاقيص ورق ، ص٢٩٢ ، ٢٩٤

(٢٥) ديوان أبو العينك ، ص ٣، ٤ ، ٨٠ . وانظر أيضاً كمال مظهر ، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، ص١٩٠

(٢٦) جاهين ، أشعار العامية المصرية ، ص٤٨ ، ١٧٢:١٧٥ .

(٢٧) ديوان بجه ها برق آمده ، ١٤٤:١٤٦ .

(٢٨) ديوان أبو العينك ، ص٥١٤ . ديوان قصاقيص ورق ، ص٢٢٤ .

(٢٩) ديوان أبو العينك ، ص٣٢ .

(٣٠) ديوان قصاقيص ورق ، ص٢٩٩ .

(٣١) ديوان أبو العينك ، ص٣٤٦ .

(٣٢) نفسه ، ص٢٣ .

(٣٣) ديوان قصاقيص ورق ، ص٤١٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ .

(٣٤) ديوان أبو العينك ، ص٢٠ .

(٣٥) ديوان بحِه ها برق آمده ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ . ديوان كلمة سلام ، ص٢٩

(٣٦) أشعار العامية المصرية ، ص١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣٧) حالت ، ديوان بحِه ها برق آمده ، ص٢٤٠ . جاهين ، ديوان كلمة سلام ، ص١٨:٢١ . ديوان عن القمر والطين ، ص٢٥٨ ، ١٥٩ .

(٣٨) ديوان بحِه ها برق آمده ، ص٢٣٩ . ديوان كلمة سلام ، ص٢٤ ، ٢٥ .

رابعا– المنهج الأدبي والخصائص :

أ– منهج الشاعرين فى طرح قضايا الوطن وهمومه :

أعتاد النقاد النظر إلى الشعر وهو يحلق فى أودية الخيــال والعواطــف أو دروب المستحيل ، وهذا ما حدا بجان بول سارتر أن يبتعد بأودية الشعر عــن أن تلــتزم بالإنسان وواقعة وقضاياه ومشاكله . وإن كانت نظرية الانعكاس الأدبية تخالف ما يراه سارتر وتؤكد على التزام الأديب بما يحدث فى مجتمعه ؛ ونزوله من الأبــراج العاجية التى كان يعيش فيها الشعر فى ماضية ؛ إلى واقع الإنسان ومجتمعه . كما أن التطور الذى شمل الأدب شعرة ونثره قد غيّر الموضوع الشعرى والصورة الشعرية ؛ وأيضا لغة الشعر .

ولا شك أن الشاعر الإيرانى أبى القاسم حالت والشاعر المصرى صلاح جاهين قـد أضافا بشعرهما تطويرا وتجديدا فى الموضوع والصورة واللغة الشعرية .فمن حيث الموضوع الشعرى نجدهما قد خرجا عن عباءة العشق والوصال والمدح للسلطان أو الحماسة الفجة ؛ إلى قاع المجتمع وقضاياه ، إلى لقمة العيش وعشــش الصفيــح والحفاة من الناس ، و لم يصبغا الصورة الشعرية بألوان براقة لتجميلها ، وأيضــا لم يحلقا بها إلى ما فوق السحاب ؛ بل غاصا بها إلى قاع المجتمــع للكشــف عــن التناقضات والمعوقات ومظاهر التخلف النفسى التى قد تعوق نهضة المجتمع.

لقد كانت موضوعاتهما الشعرية تدور حول الفقر والأمية والإسراف والمنــافقين والمستعمرين ، كانت الواقعية تغلف شعرهما فى كل القضايا التى طرحناها فى هــذا البحث .

وإن كان منهجهما فى اختيار الموضوع الشعرى هو المنهج الواقعى ؛ إلا أنهم عرضوا الموضوع فى صورة شعرية ساخرة أو متهكمة وهما لم يقصدا من هذه السخرية الضحك ، فالضحك انفعال سار لموقف ،كما أنه مضاد للحزن ، ولكن السخرية أو التهكم ضحك يمتزج بالمرارة والشعور أحيانا بقلة الحيلة أمام الهمّ الذى يطرحه الشاعر فى قصيدته ، وإن كانت الفارسية قد استعملت كلمة (طنز) لتدل على السخرية ، فإن مرادفات الكلمة وهى (طعنه ، سخرية ، تهمت زدن ، سخن به رمز گفتن) يؤكد على أن شعر الطنز لا يهدف إلى الضحك من أجل الضحك (١) .

لقد كانت صورهما الشعرية بمثابة إبرة للوخذ والتنبيه ، أو مبضع جراح لاستئصال الأورام ، أو تحليلات طبية للكشف عن الداء وتشخيصه ، ولذلك فقد استعملا لغة سهلة ؛ بسيطة ؛ عامية أحيانا أو وسط بين الفصحى والعامية فى أحيان أخرى ليسهل على الناس فهمها ، وأدخلا مصطلحات شعرية جديدة ؛ هى فى أصلها مصطلحات علمية لم تكن تستعمل فى الشعر من قبل .

إن المنهج الذى انتهجه الشاعر الإيرانى حالت والشاعر المصرى جاهين هو منهج الواقعية ؛ ولكنها ليست واقعية سوداء قاتمة ولكنها واقعية ساخرة تؤمن بأن شر البلية ما يضحك (بدترين بلايا كه خنده انگيز) ، واقعية تضحك والدموع تترقرق فى عينيها .

ولننظر لهاتين الرباعيتين اللتين تناولتا الفقر والضعف لنوضح منهج الشاعرين الواقعى الساخر :

رباعية (عزاى دائمى = العزاء المستمر)

گاهی ز عزای نان مرا غم باشد

گاهی ز برای گوشت ماتم باشد

دایم بی نان و گوشت داریم عزا

هر ماه برای ما محرم باشد

وترجمة الأبيات :

- أحيانا فى صوان عزاء الخبز يصيبنى الغم .

- وأحيانا نقيم العزاء لأجل اللحم .

- ودائما عزاء وراء عزاء للخبز والعظم (اللحم).

- يبدو أن شهور السنة كلها لدينا هى المحرم .

ويقول جاهين :

يا للى أنت بيتك مش مفروش بريش

تقوى علية الريح . . يصبح مفيش

عجبى عليك حواليك مخالب كبار

وما لكش غير منقار وقادر تعيش

عجبى (٢)

ب- خصائص التناول الشعرى لقضايا الوطن و همومه :

تتطلب المقارنة الأدبية بين الشاعرين حالت وجاهين ؛ تناول هذه المقارنة على عدة محاور ؛ محور يبدأ بالشاعرين وتجربتهما الحياتية ؛ وأخر يتناول بيئتهما العامة وهـي إيران ومصر وطبيعة همومهما ؛ ومحور ثالث يتناول البعد الأدبي الشعرى والـــذى عرض الشاعران هموم وطنيهما من خلاله . ولا شك فى أنه هناك تشابه فى أمــور بين الشاعرين واختلاف فى أمور أخرى وكذلك مناطق تشابه واختـــلاف بـين المجتمعين ؛ ولنطرح المقارنة فى نقاط محددة .

أولا : عاش الشاعر الإيرانى أبو القاسم حالت حياة مديدة ؛ امتدت مـــن عـام ١٢٩٣ ش / ١٩١٤ م إلى عام ١٣٧١ ش / ١٩٩٣ م وعاصر ثلاثه نظـــم للتحكم فى إيران ، ففى فترة طفولته عاصر نهاية العصر القاجارى ؛ ثم حكـم رضا شاه بهلوى وابنه محمد رضا ؛ ثم الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخوميـنى والتى تحولت معها إيران من النظام الملكى إلى النظام الجمـــهورى . وكـان إدراكه ورشده فى فترة اضطرابات ومعاناة شهدها مع ترسيخ رضا شاه بهلوى لحكمه فى إيران ؛ ولأنه من طبقة اجتماعية متوسطة فقد وعى وجدانه علـى معاناة مجتمعه من أجل لقمة العيش ؛ والهموم التى أثقلت كاهله مثل أزمـات القمح والخبز ؛ والمواد الغذائية وأزمة المواصلات . وهو مع تفتـــق موهبتـه الشعرية لم ينفصل عن هذا المجتمع بالتحليق فى آفاق الخيال ؛ بل غـــاص إلى قاع المجتمع والتحم بمشاكله وهمومه ؛ لذلك كان تناوله الشعرى تناول معاناة ونقد مغلفا بالسخرية والتهكم خوفا من السلطة الحاكمة ، ولا شك فى أنـه كان يتمنى الإصلاح الاجتماعى لإيران ولكنه انشغل بتشخيص الداء فى شعره

عن التعبير عن حلم التغيير ولهذا كثرت أشعاره المعبرة عن الأزمات والهموم حتى أنها كادت ترصد كل صغيرة أو كبيرة من هموم الوطن الإيرانى و قضاياه

أما الشاعر صلاح جاهين فقد عاش حياة قصيرة بالقياس للشاعر حالت؛وكانت بين عام ١٩٣٠ م إلى عام ١٩٨٦ م عاصر خلالها نظامين للحكم ؛ النظام الملكى والذى انتهى عام ١٩٥٢ م والنظام الجمهورى الذى بدأ مع الثورة ؛ ولذلك فقد بدأ تفتق وجدانه مع رشده ووعيه وقد تحقق حلم عاشه فى طفولته وصباه وكافح من أجله وهو نجاح الثورة وقضائها على الاستبداد الملكى ؛ ولأنه (أيضا) من طبقة اجتماعية متوسطة فقد عاش الحلم مع هذه الطبقة فى تغيير الأوضاع والكد والاجتهاد من أجل التنمية . لقد كان يدرك بوعى كامل طبيعة هموم مجتمعه ؛ وكانت ثقته فى ثورته تجعله يؤمن بأنها قادرة على حل هذه الهموم ومحوها بتحقيق أمانى الفقراء والمطحونين بالتنمية ولذلك كان تناوله الشعرى لهذه الهموم تناول حالم واقعى ؛ بمعنى أنه كان يشخص الهم ويحلم معه بالتصحيح وإزالة الهم وكان يغلف حلمه بالسخرية ممن يعادون الثورة أو التغيير والتنمية ؛ لذلك طرح فى أشعاره مفاهيم الكفاح والثورة والتنمية والتغيير وآمن بقدرة ثورته وشعبه على الشفاء من الهموم ؛ وظل سادرا فى حلمه بقدرة ثورته غير واع ولا مقدر لمحاولات القوى المعادية لثورته وبلاده ؛ حق قدرها ؛ ولذلك أصيب بالاكتئاب حينما نجحت هذه القوى متمثلة فى إسرائيل وأصابت ثورته بنكسة فى عام ١٩٦٧ م وهو برغم هذا الاكتئاب لم يفقد إيمانه بوطنه وقدرته على تغيير الأوضاع .

ثانيا : جاء طرح الموضوع الشعرى عند الشاعرين فيه أصالة وتجديد بموجب المفاهيم النقدية ؛ أصالة من حيث ارتباطه بالقوالب الشعرية والتفعيلة ؛ وتجديد فى الموضوع والصورة الفنية والقاموس الشعرى ؛ يؤكد هذا المنظور النقدى شرطان طرحهما الناقد الإيرانى إسماعيل نورى علاء حينما قال ما ترجمته : (وحتى يكون الأسلوب أصيلا ؛ فلا بد من شرطين ؛ الأول : الذاتية ؛ و (الثانى) عدم التقليد أو البداهة ؛ وكلاهما يجب مراعاته) (٣) .

وذاتية الشاعرين ظهرت بوضوح فى تناولهما لموضوعات جديدة فى الشعر لم تكن مطروحة من قبل عند كثير من الشعراء ؛ وبأسلوب خاص بهما فيه سخرية وتهكم وبعيد عن التقليد أو المحاكاة لشعراء آخرين ؛ كما أن الطرح الموضوعى الشعرى كان فيه ذكاء شديد حينما غلف بالسخرية المريرة .

ثالثا : الصورة الشعرية عند الشاعرين صورة جافة ؛ خشنة غير ناعمة خطوطها سوداء كمن يبتسم ودموعه تملأ عينيه ؛ لا تصف القصور ولكنها تصف الأكواخ وأعشاش الصفيح ؛ ولا تعبأ بجمال المرأة أو عينيها أو قدها ؛ ولكنها تنظر إلى أمومتها أو معاناتها فى الحياة مع الزوج أو الحماة ؛ صورة لا تنظر للطبيعة من خلال ألوانها وزهورها ولكن من خلال ثورة براكينها وزلازلها وقحط أرضها . أن صورتهما الشعرية تصف حبات العرق ؛ واليد الخشنة المكافحة ؛ والماكينات ؛ وتطرح مفاهيم الاشتراكية والاستعمارية والميكافيلية ؛ وهى ولا شك صورة شعرية جديدة تضرب بأقدامها فى قاع المجتمع ليلتقط بها نجوم السماء أو يحصل بها على الشفاء من همومه .

رابعا : تقتصر هذه الدراسة على الرؤية الأدبية عند الشاعرين ، وهى رؤية تهتم بقضايا الوطن وهمومه ، ولاشك فى أن دراسة النسيج الشعرى لشعرهما الحديث والمعاصر هى دراسة جد هامة وجديرة بأن تكون فى عمل علمى منفصل ، خاصة وأن حالت و جاهين قد نظما صورهما الشعرية وأوضحا رؤيتهما الأدبية فى عدد من القوالب الشعرية ، أهمها : القصيدة ، والرباعية ، والمسمط - وقد قدمت الدراسة التى بين أيدينا العديد من هذه النماذج - بالاضافة إلى أن دواوينهما الشعرية قد حوت نماذج أخرى جديرة بأن يدرس نسيجها من حيث القوالب وايضا الأوزان الشعرية.

خامسا : القاموس الشعرى أو اللغة عند الشاعرين - فى الفارسية وفى العربية - راعى فيه الشاعران أن يكون بسيطا ؛ غير معقد أو متكلف ؛ واستعملا فيه ألفاظ رجل الشارع حتى يصل شعرهما إليه ؛ وفى الوقت نفسه لم يخرجا عن مقتضيات اللغة الأدبية فيستعملان الغريب من الألفاظ أو الشاذ منها ؛ ولنضرب الأمثلة :

استعمل حالت عددا من التعبيرات والتراكيب العامية فى شعره ؛ فمثلا استعمل اصطلاح (فوت وفن) بمعنى الفهلوة أو المهارة ؛ واستعمل كلمة (لاكتابى) بمعنى زنديق أو على غير دين سماوى ؛ واستعمل كلمات التحقير والإهانة (نره خر) و (خفقان) ؛ والفعل (هو شدن) بمعنى قلة الحياء ؛ وتعبير (جى جى) للتدليل على الاعتراض أو الإنكار ؛ واصطلاح (پرفيس وباد) للتدليل على التكبر أو كما يسمى فى العامية المصرية (النفخة الكدابة) ؛ وكلمة (سور چران) بمعنى طفيلى أو مفجوع ؛ ومصطلح (بى سروته

) بمعنى أمر مبعثر وغير مرتبط ببعضه ؛ ومن الأطعمة استعمل التلفظ العامى لكلمة (زولبيا) وهى الزلابية ؛ كما استعمل المصطلح العامى

(تكليف چيست) بمعنى (چه بايد كرد ؟) أو ما العمل ؟ . . . وهكذا .

كما استعمل جاهين فى شعره عددا من الأساليب العامية فى اللهجة المصرية ، مثل النفى بالشين فى نهاية الكلمة ، مثل (مابقاش) بدلا من(لم يبـــق) ، و (مقدرش) بدلا من (لاأقدر) ، و كلمة (مليان) بدلا من (مليء ب) ؛ ومسمى (عتّال) بدلا من (حمّال) أو من يحمل البضائع أو الحقائب؛وكلمـة (ايش) اختصارا ل (أى شئ أكون)، و (دا) اختصارا لاسم الإشـــارة (هذا) بتلفظ العامية فى تحويل حرف الذال الى دال ، و (اللي) اختصـــارا لأداة الوصل (الذى) ؛ وكلمة (مانيش) وأصلها (لست أنا) وقد قـــرن فيها النفى فى الفصحى (ما) مع النفى فى العامية بالشين فى نهاية الكلمـــة لتأكيد النفى ، وكلمة (العيش) العامية بدلا من كلمة (الخـــبز) . . . . . وهكذا .

سادسا : وعن التقارب أو التباين بين المجتمعين الإيرانى والمصرى من خلال الهمـــوم التى طرحها كل من الشاعرين . نلاحظ أن هموم المجتمع الإيرانى والتى عـــبر عنها حالت فى شعره كانت كثيرة ومتعددة بالقياس للهموم الـــتى طرحـــها جاهين فى شعره ؛ وقد يرجع هذا إلى طول العهد الاستبدادى الذى عاشـــه حالت فى ظل أسرة پهلوى ؛ وقصر الفترة التى عاشها جاهين فى ظل النظـــام الملكى ؛ وان كانت هذه الهموم قد تقاربت من حيث أنها كانت نتاج لقلـــة إمكانيات الدولة أو الفقر ؛ كما أن أمراض المجتمع السلوكية كانت متشـــابهة

لأن المجتمعين نموذجان من نماذج المجتمعات الإسلامية ولذلك كان التحدى الغربى لهما يكاد يكون متقاربا ؛ فالمطامع الاستعمارية فيهما واحدة ؛ وقضية فلسطين والمقدسات الإسلامية بها تهم كل من المجتمعين ؛ علاوة على أن معاناة المجتمعين من العولمة الأمريكية تكاد تتشابه إلى حد بعيد .

وبرغم أن السليقة الإيرانية تميل إلى العزاء والحزن ؛ والسليقة المصرية تميل إلى النكتة والضحك ؛ إلا أن الشاعرين قد استعرضا هموم مجتمعيهما بمزيج من السخرية المرة ؛ أو بأسلوب فيه ضحك كالبكاء ؛ لذلك تقاربت بينهما الصور ؛ والأسلوب الشعرى دون أن يعرف كل منهما الآخر ؛ وأوضحت المقارنة الأدبية بينهما هذا التقارب .

سابعا : لعبت الصحافة دورا أساسيا فى المجتمعين الإيرانى والمصرى فى نشر أشعار كل من الشاعرين؛ كما لعبت الدور الأكبر فى الأسلوب اللغوى العامى أو الوسيط الذى اختاره الشاعران للتعبير عن هموم وطنيهما ؛ لقد اختارت الصحف اليومية أو الأسبوعية منذ بدايتها لغة سهلة وبسيطة لتوضيح الأمور للشعب ؛ لغة يستطيع أن يتلقاها المثقف وغير المثقف ؛ وقد أثرت هذه اللغة الوسيطة القاموس الشعرى للشاعرين وشجعتهما أن يخاطبا الشعب بشعر سهل وبسيط واستطاعا بذلك إضافة ملمح ثقافى أدبى إلى عامة الشعب خاصة وقد تغنى بشعرهما كثير من المطربين والمطربات فى بلديهما ؛ مما كان عاملا مساعدا على نشر شعرهما إلى جانب الصحافة .

ثامنا : برغم أن الموضوع الشعرى الذى تناولناه فى هذا البحث ينحصر فى مجتمعين هما المجتمع الإيرانى والمجتمع المصرى إلا أننا نلاحظ أن الشاعرين حالت

وجاهين لم يهتما بمجتمعيهما فقط ولكن تعدى الاهتمام بالهموم عندهما دائرة المحلية إلى دائرة العالمية ؛ أو بعبارة أخرى لم ينفعلا فقط بهموم مواطنيهم ولكنهما انفعلا بهموم الإنسان فى كل المجتمعات ؛ فلم يدر شعر حالت حول هموم الإيرانى فقط ولكنه تناول هموم الحرب العالمية الثانية فى كل مكان وأشار إلى هموم بنما ونيكاراجوا ؛ أما صلاح جاهين فقد عبر بوضوح عن اهتمامه بكل البشر حينما أنشد :

تعالوا يا كل الشعوب قربوا

تعالوا نقف صف واحد منيع

عشان الربيع

عشان شابة حلوة بيعشقها شاب

عشان يبقى للطفل أب

عشان يبقى للأم طفل رضيع (٤)

إن الوجدان الشعرى عند حالت وجاهين وهو يعبر عن الإنسان فى أى مكان ؛ هو وجدان المسلم الذى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولهذا يُصَنّف شعرهما بالشعر الإسلامى ويصنف أدبهما بالأدب الإنسانى ؛ كما أن شعرهما يحقق وظيفة الأدب الاجتماعية الهادفة إلى بث الوعى والإدراك والمعرفة فى المجتمع المنوط به هذا الشعر . كما أن نجاح الشاعرين فيما هدفا إليه بأشعارهما يشهد لهما بالإبداع والتفوق .

خامسا : أما بعد :

من أهم النظريات الأدبية نظرية الانعكاس ؛ ومحتوى هذه النظرية يؤكد على أن الأدب فى أى جنس من أجناسه النثرية أو الشعرية هو انعكاس للمجتمع الذى يبدع فيه الأديب ؛ وأن الحكم النقدى بالإبداع للأديب يعتمد على مدى الصدق فى العمل الأدبي أو فى التجربة الشعورية ؛ لذلك فالأدب أحد المعايير الهامة فى دراسة المجتمع خاصة وأن أحد فروعه ؛ وهو الشعر يعبر تعبيرا صادقا عن وجدان المجتمع .

إن الموضوع الذى طرحناه فى هذا البحث وهو قضايا الوطن وهمومه يعتبر نموذجا صادقا وواضحا لنظرية الانعكاس الأدبية ؛ ودليل صريح على الدور الاجتماعى للأدب ؛ كما أنه نموذج تطبيقى يوضح تلاحم الشاعر مع وطنه وهمومه .

ولقد أوضحت المقارنة الأدبية بين شاعرينا حالت وجاهين تشابها وجدانيا حدا بالشاعرين إلى تناول قضايا اجتماعية متشابهة ؛ وهذا يؤكد على أن المجتمعين الإيرانى والمصرى وجهان لعملة واحدة .

وإذا ما تفحصنا الأمر بعمق لوجدنا عوامل كثيرة تؤكد على هذا التشابه حتى فى الهموم .

إذا تناولنا العامل التاريخى وجدنا شعبين يعود تاريخهما إلى قرون طويلة قبل الميلاد ، بمعنى أن الجذور الحضارية للمجتمعين جذور عميقة تعود إلى ما قبل عصر قمبيز والفراعنة .

وإذا تناولنا العامل الدينى وجدنا شعبين مسلمين وصل الإسلام إليهما فى وقت متقارب ، لذا فقد عاشا قرونا طويلة فى ظل الإسلام واصطبغ مجتمعهما بأخلاقياته ومبادئه .

وإذا تناولنا عامل التجارب الحياتية وجدنا المجتمعين قد خاضا تجربة الملكية وتجربة الاحتلال الإنجليزى وقاسيا من التجربتين مما أضاف لمجتمعهما ملامح مشتركة .

وفى العصر الحديث صنفت الدولتان بأنهما من الدول النامية ؛ وعاشا هموما مشتركة من الفقر أو التخلف الحضارى . ومازال المجتمعان يتعرضان للتحدى الغربى ويقاسيان من العولمة .

إن ملامح التشابه بين المجتمعين والتى طرحتها الرؤية الأدبية للشاعرين تطرح سؤالا هاما مفاده : ما هى الغاية من هذه الدراسة وما وصلت إليه من تشابه بين المجتمعين؟

والإجابة تكمن فى نادرة قصيرة عرفت فى الأدب الفارسى وفى الأدب العربى تقول النادرة : استدعى أب أولاده إليه ، وكان الأب على فراش المرض يعانى سكرات الموت ، وأمر بإحضار حزمة من الحطب ، ثم أعطاها لكل واحد من أولاده ليكسرها ؛ فاستعصت على الأبناء . فأمر بحزمة الحطب فحلت ووزع عصيها على أولاده ، فكسرت العصيات بسهولة .

إن ما تهدف إليه هذه النادرة هو نفسه ما تهدف إليه هذه الدراسة ، وهو الالتزام بالأمر القرآنى (وإن هذه امتكم أمة واحده) (٥) . فإن كانت القضايا والهموم للوطن الإيرانى تتشابه مع قضايا الوطن المصرى وهمومه ، وإن كان المجتمعان يدينان

بالإسلام، ألا يجعلهم ذلك ابنان من أبناء أمة واحدة هى الأمة الإسلامية ، وحينما يكون الأبناء يدا واحدة تستعصى العصى على الكسر وإذا تفرقت سهل كسرها.

٤- حواشي : منهج الشاعرين فى طرح هموم الوطن

(١) اندوهجردى ، طنز وطنز بردازى در إيران ، ص٢ ، ٥ وانظر عبد المحسن طه بدر ، حول الأديب والواقع ، ص٣٢ .

(٢) حالت ، ديوان أبو العينك ، ص٤٢٠ ، جاهين ، ديوان رباعيات ، ص٢٣٦

(٣) صور وأسباب در شعر امروز ايران ، ص٦٩ . والنص الفارسى : (. . . براى آنكه سبكى أصيل باشد ؛ دو شرط لازم است .نخست شخصى بودن وتقليدى نبودن وبديهى نبودن آن است وديگرى ضرورت رعايت آن) .

(٤) جاهين ديوان عن القمر والطين ، ص١٢٩ .

(٥) سورة المؤمنون ، آية ٥٢ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم الأبيارى

١- الوطن فى الأدب العربى ، سلسلة المكتبة الثقافية رقم (٧٣) ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

- د . أحمد السعدنى

٢- نظرية الأدب ، ط١ ، القاهرة .

- جان بول سارتر

٣- ما الأدب ، ترجمة د . محمد عفيفى هلال ، القاهرة .

- رينيه ويلك

٤- نظرية الأدب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .

- صلاح جاهين

٥- أشعار العامية المصرية ، ط٢ ، نشر الأهرام ، القاهرة .

٦- ديوان قصاقيص ورق ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٧- ديوان كلمة سلام ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٨- رباعيات ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٩- موال عشان القنالى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

١٠- ديوان عن القمر والطين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

- د . عبد المحسن طه بدر

١١- حول الأديب والواقع ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨١م .

- كمال سعد

١٢- مشاهير وساخرون وصعاليك ، كتاب الشعب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- كمال مظهر محمد

١٣- دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، بغداد .

المصادر والمراجع الفارسية :

- إسماعيل نورى

١٤- صور وأسباب در شعر امروز ايران ، تهران ، چاپ اول ، ١٣٤٨ش .

- أبو القاسم حالت

١٥- ديوان أبو العينك ، ط٢ ، تهران ، ١٣٧٢ش .

١٦- ديوان بچه ها برق آمده ، چاپ اول ، تهران ، ١٣٧٢ش

- جلال الدين همايى

١٧- فنون بلاغت وصناعات أدبى ، چاپ شانزدهم ، تهران ، ١٣٧٨ش .

- حسين بهزاد اندوهجردى

١٨- طنز وطنز پردازى در ايران ، تهران ، ١٣٧٨ش .

- سيد محمد باقر برقعى

١٩- سخنوران نامى معاصر ايران , جلد دوم ، تهران ، چاپ اول ، ١٣٧٣ش

مصادر إلكترونية :

٢٠- الإنترنت - موقع
AL – Ahram

موقع The Egyptian State
Information Service .

تم بحمد الله

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١/٩٤٩١